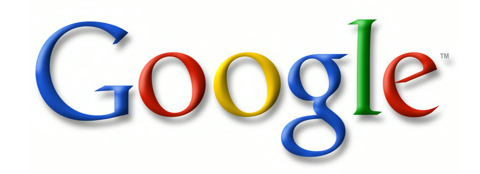
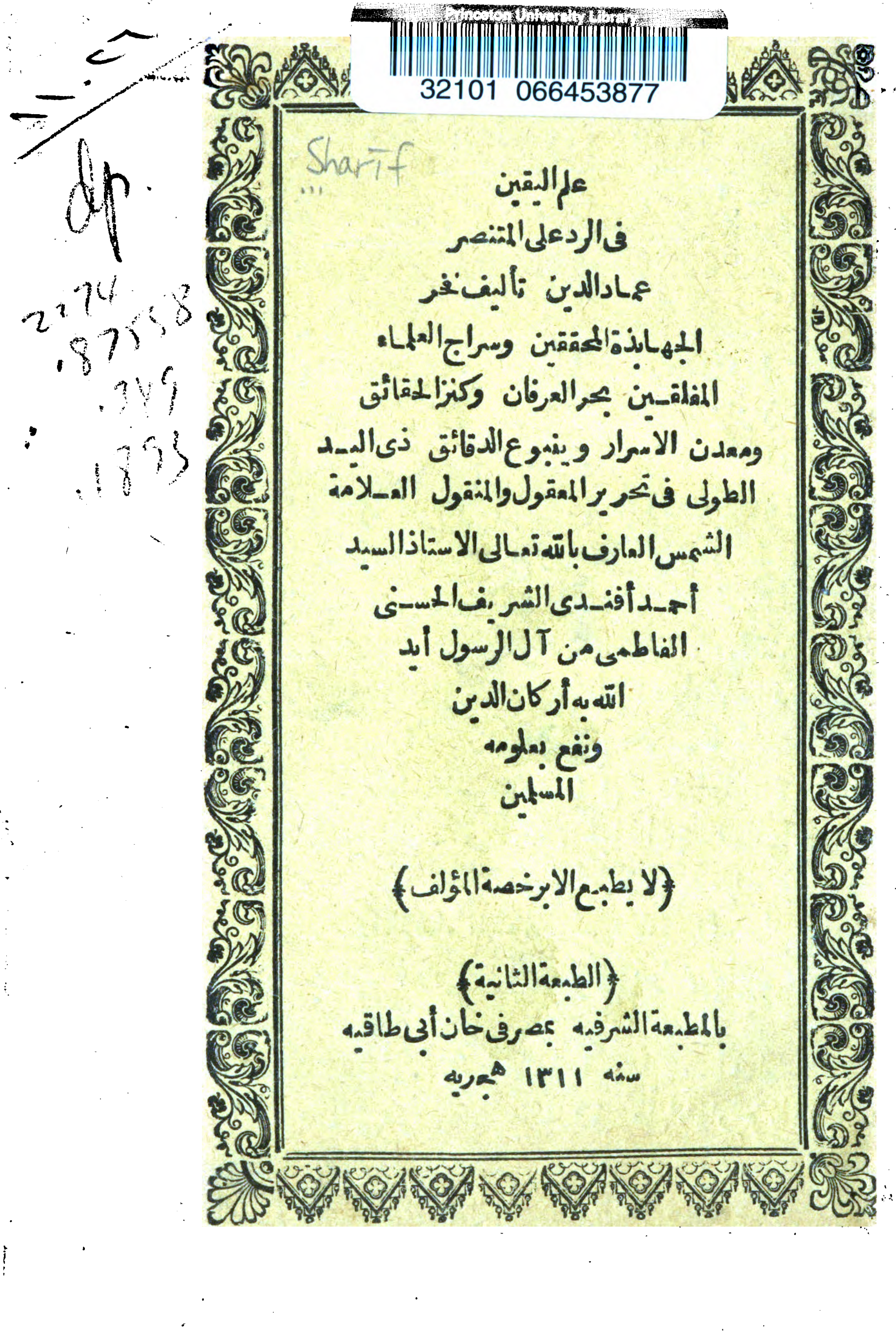



علم اليقين
في الرد على عماد الدين





علم اليقين
فى الرد على المتنصر
عماد الدين

تأليف فخر
الجهابذة المحققين وسراج العلماء
المفلقين بحر العرفان وكنز الحقائق
ومعدن الاسرار وينبوع الدقائق ذى اليد
الطولى فى تحرير المعقول والمنقول العلامة
الشمس العارف بالله تعالى الاستاذ السيد
أحمد أفندى الشريف الحسنى
الفاطمى من آل الرسول أيد
الله به أركان الدين
ونفع بعلومه
المسلمين

(الطبعة الثانية)
بالمطبعة الشرفيه بمصر فى خان أبى طاقيه
سنه ١٣١١ هجريه



الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد امام المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فيقول العبد المعترف لله بالحول والقوة ولرسوله بالطول والفتوة أحمد الشريف الحسنى الفاطمى من آل الرسول لما كانت المناضلة عن الدين وكبح ثورة المعتدين ورد أباطيل المكذبين وتزييف أقوال المعطلة والملحدين انتصارا للحق وأخذا بناصر الصدق من أهم الامور خصوصا فى هذا الزمن زمن الفتن والاحن وقد رأيت الاكثرين قد مالوا مع أهوائهم وتمادوا فى سبيل شهواتهم فاذا رأوا ملحدا انعطفوا اليه أو مكذبا اجتمعوا عليه وقد أطال علماء الاسلام فى مناظرة النحو والاحكام وتعلقوا بالوسائل ونسوا المقاصد والفضائل حتى تطاول أعداء الدين واستمروا فى تكذيب الصادق الامين حبا فى أن يختلف المسلمون على الحق وتحول وجوههم عن الصدق ومتى تحولت الوجوه اختلفت الوجوه وسهل على الاعداء الالداء القاء الدسائس والادواء وتمكنوا من تفريق الكلمة وأصابوهم بالدواهى المدلهمة ليأخذوا منهم باليمين ويقووا على ابطال الدين

وقد كنت منذ نشأتى بشرائع الدين ولوعا ولما يصيب أهله من الضير جزوعا وقد أعاننى مولاى الكريم الخلاق على اظهار جريدتى العلمية مكارم الاخلاق ناصرة للدين ناشرة لليقين تدافع جهدها عن الملة وترد أباطيل الاعداء المضمحلة وقد أوسع الناس لها من صدورهم محلا

وانزلوها

وأنزلوها من أفئدتهم المنزل الأعلى لولا شرذمة قائمة على الضلاله فئة الله أعلى منهم قوة وأحسن حاله

ولما ظهرت قصة الهندى عماد الدين وأخذ الهرج يعمل فى قلوب المؤمنين لا لكونها مؤسسة على براهين قوية وعبارات بليغة تأخذ بالالباب بل لما فيها من الطعن والافتراء دعانى للقول عليها بعض اخوانى الاجلاء وأصدقائى الاخلاء فأخذت أرد عليه وأحكم سيف حتى بين عينيه تحت عنوان (علم اليقين فى الرد على المتنصر عماد الدين) فجاءت الكتابة بحمد الله شافية كافية خالية من تعاسيف التراكيب سهلة المواضيع على أحسن الاساليب لم تدع شاردة من كلامه ولا بادرة الا افحمته بها فانقطعت حجته ولم يبق لقوله بها ثم عن لى أن أجمع الرد فى كتاب أسميه باسم العنوان المستطاب وها أنا أرتبه على مقدمة وأبواب بعون الله الملك الوهاب

﴿مقدمة فى بيان بعض حال عماد الدين وضرورة الرد عليه﴾

قال عماد الدين فى رسالته المطبوعة حديثا بحروف أمريكانية فى احدى مطابع مدينة أورشليم (القدس الشريف) التابعة ادارتها الدولة العثمانية الاسلامية حاكيا عن نفسه انه كان من علماء الاسلام ومن عائلة ذات شوكة حتى ان الانكليز لما استولوا على بلادهم قاومهم والده المدعو (محمد سراج الدين) فسلبت جميع أرزاقهم ثم تعاطوا التدريس فى علوم الدين الاسلامى ولما بلغ عمر والده مائة سنة تنصر أما هو فتعلق بالدين ودخل طريقة التصوف ليعرف الله تعالى ولما لم يصل لشئ من ذلك اطلع على التوراة والانجيل واستعان على كشف مضمرهما باحد العلماء الذى تنصر من قبل ولما وصل الى الفصل السابع من انجيل مارمتى ظهر له ان دين الاسلام ليس بدين من الله وطعن فى النبوة والاسلام بغير دليل

ومع كون الدين الاسلامى مهيمنا عليه وهذه الرسالة الساقطة لا تزيده الاوضوحا لدى المباحث فيه ولكن رأينا ان نبين خطأه فى الدين وانه بعيد عن مراميه على

فرض أن هذه الرسالة لم تكن أحبولة كيد نصبها الشياطين فى طريق المؤمنين الذين اتخذوا سلامة الطوية شعارا وحسن السيرة دثارا لا يستنكفون من القول بها وحض الناس على التخلق بشمائلها ولله درهم فقد عرفوا طريقا فيها سعادتهم اذ فوضوا كل أمورهم لله فهو جل شأنه لا يهملهم بل يقوى شوكتهم ويعلى كلمتهم ويرفع شأنهم ولا يمهل المعتدين عليهم بل يهلكهم ويمزقهم كل ممزق واذا هم بصيحة الموت الذريع من ورائهم محيطة بهم لا يفلتون من حلقة كيدها ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وكأنى بالجو قد امتلأ بألوية النصر تخفق على رؤس ملائكة شداد غلاظ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وما النصر الا من عند الله كيف لا وقد وجه المؤمنون وجوههم لله واتبعوا ملة رسوله الصادق الامين الذى بشر به المسيح عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وحجته على خلقه عليه الصلاة والسلام كما سيأتى الكلام على ذلك من نفس الانجيل (الكتاب المقدس) فلم تهلهم كبكبة الاعداء فهم بهذا استحقوا من الله القاهر فوق عباده ان يأخذ بناصرهم ويعيد مجدهم الباذخ فتمتد سطوتهم وتنفذ كلمتهم وتخشى صولتهم وما ذلك على الله بعزيز

أما اذا لم تكن قصة حقيقية وانما هى أمور ملفقة الغرض منها زرع الضغينة فى الافئدة فأهل الاسلام حفظهم الله لا يتناولهم كيد الخائنين ولا يستفزهم أمر المعتدين فالتجاريب قد ملأت قلوبهم حكمة وصدورهم يقينا فهم ثابتون والناس فى قلق واضطراب ودائبون فى أعمالهم ومعايشهم وغيرهم يفزع من صياح الديكة وعوى الكلاب ويتماوت كالثعلب اذا خاف الاسد ويكفيك أنهم قد بنوا أمرهم على الاستعانة بالله والانحياز الى ركنه الشديد وعزه المنيع

غير انه لما كان تأليف هذه الرسالة مع ما فيها من السب والشتم والتكذيب الصريح وطبعها فى مطابع بلاد الاسلام اعتداء زائدا ومكائد ظاهرة وأحبولة كيد وضعها من لا يخشى الله ولا يخاف صرامة العقاب الاخروى ولا يرهب الامة لسوء ظنه بها وقد فاته انها قوية الشكيمة كثيرة العدد والعدد

تراهم من كل حدب ينسلون اذا سمعوا أذان من يريد القيام لاعلاء كلمة الله بصدق عزيمة وحسن نية فالامة التى يبلغ عددها الآن نحو الثلاثمائة مليون وأكثر فى انحاء المسكونة و يجمعها دين واحد لا اختلاف بينهم فى أمره الا فى فروع تعبدية تزلزل الارض وتدكها على من يريد بها مكروها فى دينها القويم وقد طال البنا دينا القويم وصراطنا المستقيم بمكافأة المعتدين بمثل ما اعتدوا به وقد علمنا نبينا عليه الصلاة والسلام كيف نزيل المنكر وهذه احوال فادحة وأمور شنيعة ولكنها لا تدعونا الا الى استعمال اللسان والبراهين الكلامية اذ لا داعية لليد ولا رهبة تبعث على الانكار بالقلب

فقمت بواجب الرد عليه وارجاع سهم كيده اليه طمعا فى الفوز عند الله بالثواب وأن ينيلنى لديه الزلفى وحسن المآب وقد سلكت فى هذا الرد الاقتصار على ذكر نص الخصم بحروفه ثم أكر عليه بالرد المؤيد بسواطع البراهين الدامغ لحجج المبطلين

(الباب الاول فى أن المسلمين يعرفون التوراة والانجيل لاشتمال القرآن العظيم على معانيهما وأن الدخول فى طريق الصوفية لا يكون الا لثابتى الايمان وغير ذلك من أمور كثيرة)

(قال الذى كفر) ان المسلمين يجهلون الكتب المقدسة ولا يقرؤن العهد الجديد (الانجيل) ولا العهد القديم (التوراة) ولا غيرهما من كتب المسيحيين الدينية بل انما يقتصرون على درس القرآن وهذا بالاكثر اذ يسمعون على الدوام ان أسفار الانجيل قد تحرفت وتغيرت وفضلا عن هذا فالمسلمون لا يباشرون علماء النصارى لزعمهم ان النصارى كلهم كفار ومشركون ولا ريب ان هذا الاجتناب والاعتزال من الاسباب التى تجعل المسلمين الى هذا اليوم متوغلين فى غاية الجهل لدين المسيح وتمنعهم عن التبصر فيما يتعلق به والبحث فى تعاليمه وعقائده

(وأقول) ان المسلمين اذا لم يقولوا بتغيير التوراة والانجيل وتحريف كلم الله

عن مواضعه فهم فى غنى عنه وعن كل كتاب نزل من السماء لان القرآن العظيم لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ولم يفرط فيه من شئ كما نطق بذلك وقد علمنا من قوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وان كانت هذه الآية خاصة بالرد على اليهود حيث قالوا ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه لكنها فى مقام يعين الحسن أو المثلية أن القرآن قد جاء ناهيا وآمرا ومرشدا كاملا مستغنيا عن الاستعانة بغيره الا ما كان حالا لغوامضه كاشفا لمضمره عاملا على بيانه قائما بحجته وان لنا فى الاحاديث الصحيحة لمندوحة فاذا أضفنا ذلك الى كون القرآن جمع ما تفرق فى الكتب السماوية جمع محقق وتحقيق وزاد عليها أمورا كلية تلائم الانسان فى الزمان والمكان الى ما لا نهاية لا كتفى المسلمون به دون أن ينظروا فى غيره خصوصا وان القرآن أنزل عربيا فصيحا معجزا لأكابر البلغاء وقد قال الله تعالى فى محكم آياته البينات (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) فانظر الى باهر حكمته كيف رتب عليهم التقوى اذا عجزوا عن الاتيان بمثله ولما كان عالما بعجزهم أتى بلن نافية المستقبل بين الجزاء والشرط تهكما فما تقدم لهذا الميدان أحد الا ونكص على عقبيه خائبا وقد تحداهم فعجزوا عن معارضته على ان فى السور ما هو ثلاث آيات وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يسب آلهتهم ويوبخهم فما استطاعوا له ردا مع بلاغة العرب وفصاحتهم * ولما كان التوراة والانجيل قد أنزلا باللغة العبرانية ولم تكن ترجمتهما الى اللغة العربية بقوة الهية أو نبوية بل ولا تصدى لنقلهما من العبرانية الى العربية أقوام فصحاء يمكنهم جعل الكلام مناسبا المقام الجلال الالهى فهى غير مقبولة عند البلغاء خصوصا مع الاخلال بمحاسن المعانى ألا ترى القرآن قد قصر عن الغوص فى معانيه الدقيقة التى تتنوع حسب اختلاف الافهام فى مآخذ الاصول العلمية فحول العلماء وقد تسمى من أكثر

فى استخراج غوامضه الحكمية باطنيا وبعضهم أحال معرفة التأويل بحقه الا اذا كانت قوة المؤول الهية

وقد رأينا من تخرج من أبناء الطائفتين اليهودية والنصرانية لم يستغن عن حفظ القرآن والاحاديث الشريفة ومعرفة أقوال أهل الاسلام فهم لا يكتبون الا على نحو المسلمين ولا يستشهدون الا بالآيات القرآنية التى كانت سببا فى تحسين كلامهم وجعله مقبولا لدى أهل الاذواق من العلماء والادباء وها هى كتبهم ومقالاتهم شاهدة بذلك وناطقة أما بلغاء المسلمين فليسوا بمحتاجين الى الاستعانة بشئ أجنبي لتكفل القرآن بكل ما فى نفوسهم ومع ذلك فلم تكن هذه الدواعى الكلية داعية لعدم اقتناء المسلمين تلك الكتب المقدسة فانى واحد منهم وخزانة كتبى ممتلئة بكتب اليهود والنصارى سماوية وغيرها حتى أنا شيدهم فى صلاتهم وذلك لنكون على علم من أمرهم ونعرف الحسن فى ديننا بالاطلاع على هاتيك الاصول المقدسة وقد تعرفنا بكثير من علماء الطائفتين وادبائهما ولكننا لا نصدقهم فى شئ ولا نكذبهم فقد قال سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية احترازا من ان نصدقهم فى كذب أو نكذبهم فى صدق واذا جادلناهم فبالتى هى أحسن نجادلهم حتى لا نضطرهم الى ركوب متن الشطط فى القول وهذا دأب المسلمين فقد علمتهم ديانتهم الاسلامية الحنيفية السمحاء الآداب والفضائل فنبغوا فى دائرة العرفان الالهية وتخلقوا بالاخلاق المحمدية ولذلك ترى لسيدنا ومولانا المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام المكان الارفع والمحل الاعلى من قلوبنا كما نصت بذلك شريعتنا الطاهرة المطهرة

(قال المرتد) ان المسلمين يأمرون كل من طلب الحق بحفظ جميع مارسمته الشريعة المحمدية من الفرائض والاحكام والعبادات ويزعمون ان ذلك يشفى قلب الانسان مما فيه من المرية والارتياب ورب عالم تكلف تلك الاعمال فنشد يدلون على التزهد واتباع مسالك أهل الطريق وتلك المسالك موجودة منذ

مبعث محمد ولا يعرف أركانها الا الذين تعلموها مدة طويلة

(وأقول) انه اذا كان طالب الحق من غير أهل الدين الاسلامي فالمسلمون لا يكلونه الى نفسه ولا يأمرونه بحفظ جميع مارسمته الشريعة المحمدية كما ادعى بل يعرفونه الحق من طريق الشرع الشريف و يقيمون له الادلة القاطعة أولا على صدق رسالة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم للخلق كافة بما تواتر عنه من المعجزات الباهرات التي رآها أصحابه الامناء الفطناء برأي العين في عهده عليه الصلاة والسلام و يجلون ماران على قلبه بالنصوص الشرعية التي يثبتها العقل و يرضاها ذووا القلوب الباصرة والعيون الناظرة فاذا كان ممن سعدوا وقبلها وحلت من قلبه أمر بحفظ قواعد الاسلام وأركانه التي يقوم عليها وهي التي لا بد منها للمبتدي فاذا أراد بعد ذلك أن يغوص في بحار علوم الشريعة وجد أناسا ذوي كفاية تامة ودراية عامة يتلقى منهم الدين تلقيا يشفي العليل و يروي الغليل * واذا كان طالب الحق قاصدا اتساع المعرفة في أحكام الدين ليقف على أصولها وحكمتها فالحق لا يعدوا الشريعة بل هو متخلل في جميع أجزائها فكل دقيقة منها بنيت على أصول صادقة وحكم نافعة فاذا أحاط بها ونظر في معقولها ومنقولها عرف الحق فيها وعرف كيف يقول به * أما اذا كان من أهل الاسلام وقامت في نفسه شبه وارتاب في أصل الدين كهذا الرجل المرتد فالعلماء متكفلون بارشاده حتى يهتدي الى الحق الا اذا كان ذا جنة فلا يقبل شيأ من الادلة كما هو الظاهر من حال هذا الرجل

وعلى فرض ان هذا المرتاب لم يكن مجنونا وانما قامت في نفسه شبه حار عقله بسببها وتقدم لعلماء بلاده بما في نفسه حتى يزيلوا ما بها من العلل والاراجيف الشيطانية وكانت العلل يستشعر منها الاشكال القوي ولم يكن قول علماء بلاده شافيا علته وكاشفا غمته ولم تصله الكتب النفيسة المؤلفة في هذا الباب ككتاب اظهار الحق للعالم العامل الشيخ رحمة الله الدهلوي فواجب ان يرحل لعواصم بلاد الاسلام التي توجد بها العلماء الاعلام والجهابذة الكرام فانه لا يقوم منها الا والادلة القاطعة والبراهين الساطعة ناهضة معه في الكليات والجزئيات التي

يريد

يريد الوصول الى حقائقها وصولا ينفي عنه الشكوك والاوهام
وهنا أدعو هذا الرجل ومعه عقله الى الحضور لعاصمة الديار المصرية القاهرة
المعزية وأنا بفضل الله أدفع كل شبهة قامت في نفسه وأذهب بكل خدعة خدعها
له الشيطان الرجيم حتى يعود مسلما ومؤمنا مسلما بكل ما جاء به النبي محمد
عليه الصلاة والسلام في قليل من الايام وهكذا أدعو غيره ممن يريد الوقوف
على حقائق الدين الظاهرة والباطنة وكان ممن سبقت لهم السعادة بحيث ان
يجعل نفسه بين يدي كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء وأن لا يسألني
عن شيء حتى أحدث له منه ذكرا

هذا وقد كذب الرجل في قوله ان المسلمين يدلون على التزهد واتباع مسالك
الصوفية من يريد الوقوف على الحقائق الدينية من أهل الملل والنحل الاخرى
وقد كذب أيضا في ان طرق التصوف موجودة منذ مبعث النبي عليه الصلاة
والسلام ولا يعرف أركانها الا الذين تعلموها مدة طويلة فان المسلمين لا يدلون ذا
الشبه على طريق التصوف بل ولا يدعون أحدا اليه الا اذا رغب من نفسه
وكان مقتدرا بصفاء قلبه وجلاء باطنه على أداء ما أوجبه عليه التصوف وحظت
عليه السعادة وتفرس فيه المرشد بنور الايمان الانقياد لاوامره والا فكم
مريد وقف السنين والاعوام على باب استاذ كامل ولم يتحصل على اذن في شيء
مما يتعلق بهذا السلوك اليقيني الا اذا كان المرشد ضالا ومضلا نصب نفسه
في مقام الارشاد وهو بعيد عن درجات المريدين بقصد استجلاب الرزق وليس
ذلك خاصا بالديانة الاسلامية بل الفساد منتشر مع أهله في كل ملة ونحلة كما
ان الطرق التصوفية ليست موجودة منذ البعثة وانما جاءت بعدها بقرون
وان رفع أهلها الاسناد الى النبي عليه الصلاة والسلام لا يكون حكما على وجودها
في حياته صلى الله عليه وسلم على انها لا عيب فيها سوى انها طريق توصل الانسان
بالادلة الباطنية والانوار القدوسية الربانية الى مقام معرفة الحضرة الجلالية
ولا أركان لها سوى العمل بالشريعة الغراء بحقها والتزام آداب مقبولة ليس
هذا محل بسطها * وقد دلتنا أقوال هذا المرتد الخرافية انه لم يكن عالما

بالشريعة بل انه يجهلها كل الجهل وعقله مريض كما أخبر عن نفسه وقد صدقنا هذا الخبر لقيام القرائن على صحته

(قال الذى كفر) فتعلقت بطريقة أهل الصوفية وعشت منفرداالا آكل الاقليلاولا أتكلم الاعلى قدر الحاجة وتارة أصوم نهارا كاملا وتارة أسهر طول الليل وأنا قاهر شهوات النفس وأحيي الليل تالى القرآن أوذاكر القصائد كمثل القصيدة الغوثية وأهل الكاف وحزب البحر وغيرها من الاحزاب وأصلى واركع فعند ذلك أنفرد بنفسى وأغمض عينى رجاء أن تنطبع فى قلبى معرفة الله وكنت أقصد أيضا المقابر واجلس على تربات الاولياء والصالحين عسى ان أكشف على شئ ببركتهم وكذلك اجتمع باهل الصوفية وأخالط من الفقراء والدراويش أوسخهم ثيابا وأشدهم جنونا وأصلى الصلوات الخمس كل يوم وكذلك كنت أصلى فى الليل وأذكر الشهادتين والحاصل عملت كل مايؤلم النفس ويعذب الجسد طمعا أن أتوصل بذلك الى معرفة الله غيرانى كلما بالغت فى ذلك ازددت تأسفا وحيرة

(وأقول) أما كونه تعلق بطريق الصوفية مع ارتيابه فى أصل الدين ومحاجته علماء الاسلام بقصد معرفة الله تعالى فذلك ضرب من المحال وقسم من الجنون اذ المسلم صحيح الايمان اذا كان متجها الى ماسوى الله تعالى فمجاهدته النفس بقصد الوصول الى معارف الهية وكشف حقائق غامضة عبث محض وتعب ضيع وعمر ذاهب ادراج الرياح وبالاخص انالم يأخذ عن شيخ عرف النفس وعللها وكيف يكون قطع المفاوز المضيقة وسلوك الطريق الوعرة وكيف يقمع الشيطان ويرد جماح النفس ونازع الشهوة

هذا الشيخ العارف عبد الوهاب الشعرانى بعد ان مهر فى العلم وفاق أقرانه فى المعارف الشرعية ودرس وأفاد وألف المؤلفات النفيسة فى الدين وانتفع به المسلمون تاقت نفسه للدخول فى طريق الصوفية فأخذ فى العمل من نفسه فكلما سلك دربا رآه مسدودا امامه وهكذا حتى يئس من الوصول الى غايته بنفسه ثم وفقه الله للاخذ عن الشيخ العامل على المرصفى فاستنارت بصيرته

واشرقت

وأشرقت عليه أنوار الفتح من مقام سر المرشد وكذلك أخذ عن الشيخ العامل الأمي على الخواص من أكابر الصوفية فحصل له من الامور الخارقة للعادة مالا يعبر عنه بلسان ولا تفي به عبارة انسان وحضر الجن درسه ووضع يده على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو في القاهرة وغير ذلك من المكاشفات الكبرى والاسرار الكلية التي لم يصل اليها من نفسه وهو بحر من بحار العلم وطود من أطواد العرفان قال تعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا) وهذه البشرى انما هي خرق العادات لهم في الحياة الدنيا علامة على حسن السلوك وأنهم على قدم صدق في توجهاتهم الى مالك أمرهم وهذا الامام الغزالي حجة الاسلام صاحب احياء علوم الدين الرجل الشهير منقطع القرين في الشرع والحقيقة وصاحب التآليف المفيدة لم يصل الى مقامه العلي الكريم الا بمرشد بعد ان درس لثلاثمائة من العلماء أصحاب الطيالس بمدرسة النظامية ببغداد دار السلام ولم تكن علومه الجمة وتآليفه العديدة توصله الى غايته من استكشاف الحقائق وبالجملة لم يحصل أحد على الفتح والمعرفة الا بمرشد كامل (وأما الفيض الرباني فمن خوارق العادات) وقد جعل القوم الاخذ عن استاذ شرطا من أهم الشروط ومن الضروريات التي يتوقف عليها الوصول وقالوا من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان

فما بال من اخطأ طريق الوصول الى اثبات الدين وتقوضت أركان يقينه كيف يصل الى كنه الحقائق الباطنية ويحظى بالمعرفة الالهية لاشك ان هذا الرجل مصروع وقد سكن في فؤاده الشيطان واستوى عليه بجنوده

أما قوله وعشت منفردا فالدين لا يأمره بذلك بل ينهاه عن الانفراد بنفسه كيف لا وقد أمر بالائتلاف والجمعية لما فيهما من الفوائد التي تعود على الهيئة العمومية وما كانت صلاة الجماعة في اليوم والليلة الا ليتآلف الناس ويعاشروا بعضهم بالمعروف وتنبسط آمالهم بالاجتماع وترتبط قلوبهم بالتعاون والتحابب فقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام تزاودوا تحابوا ولم يكن شيئا أكثر في جمع القلوب من الائتلاف والاجتماع ثم افترضت

صلاة الجمعة فكان الاجتماع فيها عاما بين أهل البلد الواحد فتكثر الجمعية ويزداد التعارف والائتلاف ثم افترض الحج فكان الاجتماع فيه أعم والائتلاف أتم فتتحد القلوب المتفرقة وتنشرح الخواطر بكثرة الجموع الاسلامية فتتم حينئذ الفائدة وتحسن العائدة فكأنما الدين قد عاد له الشباب بعد الهرم ولو لم يكن في الوقوف بعرفات غير تذكر اليوم الذي تقف الخلائق فيه بين يدي الله للعرض والحساب والنار محدقة بهم وما يترتب على ذلك من الخوف ولزوم الصفح عن المسيء والاحسان اليه لكفى فضلا عما في هذه المزية من الارتداع عن الشر والاندفاع الى عمل الخير فانظر أيها المغرور عماد الدين الموطدة على أساس الاجتماع وتأمل بعد ذلك في التشتت والانفراد كيف يحل العزائم عن التعاون ويولد الشرور والآثام ويعين على التوحش ويجلب الرعونة والزعارة ويسبب الاملاق وفساد الاخلاق ولو لم يكن في الانفراد بالنفس غير الجهل والطغيان لكفى

وأما قوله لا آكل الا قليلا الى قوله ازددت تأسفا وحيرة فقد دلنا على قلة عقله وجهله بالدين وذلك ان الصلاة ليلا وتلاوة القرآن وقراءة أوراد كثيرة متناقضة كحزب البحر الذي لم يكن مخصوصا الا بالتلاوة وقت ركوب البحر وغير ذلك مما أشغل نفسه به بغير أن يدري ما فائدته ويجهل وقت تلاوته وبدون شيخ وبدون تثبيت ايمان هو الجنون الصرف والجهل المركب خصوصا وان هذه الاشياء ليست كلها من الدين وانما هي الصلاة المفروضة وصلاة الليل نافلة ويكفي في ذلك ركعة أو ركعتان فقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بصلاة الليل ولو ركعة واحدة وقال صلى الله عليه وسلم ركعتان في جوف الليل يكفران السيآت والخطايا وقال عليه الصلاة والسلام ركعتان يركعهما ابن آدم في جوف الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها ولولا ان أشق على امتي لفرضتهما عليهم فاذا كان في الركعتين مشقة على الامة اذا فرضتا فكيف يقول هذا الرجل ان عمل ما يؤلم النفس ويعذب الجسد وسهر الليل الطويل وصوم النهار من الدين وهو بعيد من هذه التعاسيف حسبه جهنم يصلاها وبئس دار

الفاسقين

الفاسقين
انظر الى ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي قتادة قال بينما نحن نصلي مع النبي
صلى الله عليه وسلم اذ سمع جلبة الرجال فلما صلى قال ما شأنكم قالوا استعجلنا
الى الصلاة قال فلا تفعلوا اذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا
وما فاتكم فأتموا فلم يأمرهم عليه الصلاة والسلام بالمسارعة الى الصلاة المفروضة
لما في ذلك من الاخلال بالهيبة وعدم الانتظام وانما يأمرهم بالمبادرة الى
المساجد بسكينة ووقار احتراما للدين وتأسيا بتواضعه عليه الصلاة والسلام
وكان عبد الله بن عمرو بن العاص تزوج بامرأة من قريش فاشتغل بالعبادة
وتركها فاعلمت أباه فعنفه ثم رفع أمره الى النبي عليه الصلاة والسلام فروى
البخاري في ذلك حديثا عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك
تقوم الليل وتصوم النهار قلت اني أفعل ذلك قال فانك اذا فعلت ذلك هجمت
عينك ونفهت نفسك وان لنفسك عليك حقا ولاهلك عليك حقا فصم
وأفطر وقم ونم وقد روى البخاري في صحيحه أيضا عن عبد الله بن عمرو انه قال
أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أقول والله لاصومن النهار ولاقومن
الليل ما عشت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الذي تقول والله
لاصومن النهار ولاقومن الليل ما عشت قلت قد قلته قال انك لا تستطيع
ذلك فصم وأفطر وقم ونم وصم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها
وذلك مثل صيام الدهر فقلت اني أطيق أفضل من ذلك قال فصم يوما وأفطر
يومين فقلت اني أطيق أفضل من ذلك قال فصم يوما وأفطر يوما وذلك صيام
داود وهو أعدل الصيام فقلت اني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله قال
لا أفضل من ذلك فانظر الى شفقة النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته بالمؤمنين
كيف ألزمهم التخفيف على أنفسهم وعدم التعرض بها الى ما يذهب ببهجتها
ويضيع قوتها فانه بهم رؤف رحيم قال الله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) ومع ذلك فلم يكن ليأمر
أحدا عالم يستطعه ومارضي لابن عمرو ذلك الا لوجود الرغبة القوية منه في

للعبادة وابن عمرو هذا ممن لا يقاس عليهم فهم في واد والناس من جهة العبادة في واد آخر وان قيل ان الصوفية يأمرون بمجاهدة النفس الى حد يعجز أثر الشهوات حتى تستشرف على الملكوت وتتحد مع العوالم المجردة الروحية فذلك لم يكن من الدين ولم يأمر به النبي عليه الصلاة والسلام كما تقدم القول ومع ذلك فالامام حجة الاسلام الغزالي قد أكثر من الكلام في احياء علوم الدين فيما يتعلق بالصيام والقيام فارأى أحسن من اتباع الحد الوسط وحض على الائتلاف ولزوم الجمعية للاشتراك في المنافع وانتظام معيشة الحياة الدنيا طبق ما جاءت به الشريعة الاسلامية فمن أراد الوقوف على سماحة الدين وجمال الاسلام وحياته السعيدة في الدارين فعليه بمطالعة ذلك الكتاب النفيس من هذا العالم الرئيس وقد أورد غيره في كتب الصوفية ما يلزم الانسان السالك في طريق الآخرة من اجتناب كل ما يؤلم النفس لقوله عليه الصلاة والسلام ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى رواه البزار عن جابر وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تكابدوا هذا الليل (أوقال الدين) فانكم لا تطيقونه واذا نعس أحدكم فلينم على فراشه فانه أسلم رواه الديلمي عن أبان عن أنس ولقوله عليه الصلاة والسلام خذوا من العبادة بقدر ما تطيقونه واياكم ان يتعود أحدكم عبادة ثم يرجع عنها فليس شئ أشد على الله ان يتعود الرجل العبادة ثم يرجع عنها رواه الديلمي عن ابن عباس وقال النبي الصادق الامين لابي ذر يا أباذر ان لجسدك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ولربك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فصم وأفطر ونم وقم وائت أهلك رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي جحيفة وفي الجامع الصغير عن محمد بن نصر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم أيها الناس من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل وقال عليه الصلاة والسلام من رواية البخاري عن أبي هريرة ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة وقال الله تبارك وتعالى

لا يكلف الله نفسا الا وسعها
فقد بان لك مما أوردناه عليك ان الاسلام لا يأمر الا بما يطيقه الناس ويداومون عليه بغير ملل ولا ضجر وانه الدين القويم والصراط المستقيم وان الله ما أراد به الى اصلاح الخلق واقبالهم عليه ليثيبهم من فضله جل شأنه وتعالى جده

وناهيك برجل يجعل الجلوس على قبور الاولياء والصالحين وصحبة أشد الناس جنونا وأوسخهم ثيابا من الامور التى توصل الى معرفة الله فسادا فى العقل وذهولا عن طرق المنافع فما أشد بعده عن الدين وقربه من أباطيل المكذبين فان من وصل الى سمعه نهى النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث طويل عن الصلاة فى القبور واتخاذ مقابر الصالحين مسجدا ولم يعمل به فتعرض بنفسه الى الهلاك والوقوع فى هوة الغضب ونحن مأمورون بالعمل بكل ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام تحمله الينا ثقاة الرواة قال الله تبارك وتعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) واذا لم يعلم بما جاء فى ذلك من النهى فافعاله انما ترجع الى نفسه والى تعاليم شيطانه فكيف يجعلها من الدين وهو برىء منها فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون

(الباب الثانى فى تفسير قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا واستنباط الشفاعة من صريح القرآن)

(قال المرتد) ولكن من حيث ان الناس كانوا يحسبون من ظاهر حالى انى من الصالحين قلدونى وظيفة خطيب بالجامع السلطانى ببلاد (أكر) فبقيت مدة ثلاث سنين أقرأ تفسير القرآن وأدرس الحديث حتى وقفت يوما من الايام على آية من القرآن وهى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) معناها أنه لابد لكل

انسان أن يدخل جهنم اذ قد قدر الله بذلك وانه بعد ادخاله الجميع نار جهنم يغفر لمن يشاء فاوقعتني تلك الآية في تشويش عظيم لان المسلمين استصعبوا تفسير تلك الآية التي لا يوجد مثلها في القرآن واختلف في تأويلها المفسرون فمنهم من قال ان محمدا يشفع في أمته يوم القيامة بين يدي الله وهذا القول لا أصل له ولا دليل في القرآن على ان محمدا يشفع في واحد وقد ألف المؤلفون كثيرا في تلك الآية من غير أن ينالوا المراد وكلما تأملت في الآية المذكورة ازداد اضطرابي وتحيري وكثر همي وغمي

(وأقول) يعلم من له أدنى درجة في العقل وذرة من الذوق أن هذا الكلام لم يخرج من قلب انسان مارس الشريعة الاسلامية أو كان واحدا من المسلمين فضلا أن يكون عالما ومدرسا فهذه الآية الشريفة وان كثر القول فيها من أئمة التفسير ولكن لم يفردها أحد بتأليف كما ادعى وسيأتي القول عليها فترى معناها واضحا آتيا بدلائل الرحمة الالهية التي سبقت العذاب وذلك المعنى القائم بهذه الآية الشريفة مقبول عند أهل الايمان ثابتي العقيدة بصورة لا تقبل الحيرة والاندهاش

هذا ولما كان القرآن العظيم وقول الحكيم العليم المنزل على قلب هذا النبي الكريم كما قدمنا تتنوع معانيه حسب اختلاف الافهام ومقامات الرجال في القرب والبعد من الله تعالى وأهل النقد من رجال الحقيقة الذين أخذوا العلم عنه تعالى ترجع جميع أقوالهم مهما كان اختلافها ظاهرا الى قول واحد مطابق في الحقيقة لما عند الله فتراهم اذا وقفوا عند كلام لم يكن صاحبه شاربا من حياض معارفهم ولم يطابق الواقع رجعوه الى البطلان وأقاموا على بعده من ماهية الامر البراهين اليقينية والحجج النقلية وانا نأتي هنا بجميع أقوال المفسرين في هذه الآية الشريفة ثم نتكلم عليها ونبين كيف ترجع الاقوال الصحيحة منها الى أصل واحد فان الحقيقة لا تتعدد ونستدل بشئ مما جاء في الانجيل حتى يرجع الخصم مقهورا مذموما مدحورا ويتضح لك أيها المطالع اللبيب صبح الايمان من ظلام الشرك والطغيان فتصبح

من

من اليقين وثبات الدين على جانب لا تزعزعه النزغات الشيطانية قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
(قال) جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى جامدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يردونها كأنها اهالة ورى دوابة وعن ابن مسعود والحسن وقتادة ان الورود هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشئ الشئ ولا يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن جابر بن عبد الله انه سئل فى هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بار ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام الحمى من فيح جهنم وفى الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار قال محمود بن عمر الزمخشرى فى كشافه عند قول الله سبحانه وتعالى (وان منكم) التفات الى الانسان يعضده قراءة ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهما (وان منهم) أو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان أريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهى جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان أريد الكفار خاصة فالمعنى بين وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار ان نافع بن الازرق مارى ابن عباس فى الورود فقال ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فتلا ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع أما والله انا وأنت سنردها وأنا أرجو ان يخرجنى الله منها وما أرى الله يخرجك منها بتكذيبك قال الخطيب الشربينى و يدل عليه أيضا قوله تعالى (ثم ننجى الذين اتقوا) أى الكفر منها ولا يجوز ان يقول ثم ننجى الذين اتقوا

(ونذر الظالمين) بالكفر (فيها جثيا) على الركب الاوالكل واردون والاخبار المروية دالة على هذا القول وان حرارة النار ليست بطبعها فالاجزاء الملاصقة لابدان الكفار يجعلها الله محرقة مؤذية والاجزاء الملاصقة لاجزاء المؤمنين يجعلها برداوسلاما كما فى حق ابراهيم عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين بها لايجدون الماوكما فى الكوز الواحد من الماء حيث كان يشرب به القبطى فيكون دماو يشرب به الاسرائيلى فيكون ماءعذبا وقيل المراد بالذين يردونها من تقدم ذكرهم من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة وعلى هذا القول فلايدخل النار مؤمن واستدل له بقوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لايسمعون حسيسها) والمبعد منها لايوصف بانه واردها ولووردوا جهنم لسمعوا حسيسها وبقوله تعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) وقال ابن مسعود وان منكم الا واردها يعنى القيامة والكناية راجعة اليها قال صاحب روح البيان اعلم ان الوعيدية وهم المعتزلة قالوا ان من دخلها لايخرج منها وقالت المرجئة لايدخلها مؤمن قط وقالوا ان الورود ههنا هو الحضور لاالدخول * فاما أهل السنة فقالوا يجوز أن يعاقب الله العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها وقالوا معنى الورود الدخول كقوله تعالى (فأوردهم النار) وقال تعالى (حصب جهنم أنتم لها واردون) ثم قال فان قلت اذا لم يكن فى دخول المؤمنين عذاب فما الفائدة فيه قلت وجوه *الاول ان يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه والثانى يزيد غم أهل النار لظهور فضيحتهم عند المؤمنين والاولياء الذين كانوا يخوفونهم بالنار والثالث يرون أعداءهم المؤمنين قد تخلصوا منها وهم يبقون فيها والرابع ان المؤمنين اذا كانوا معهم فيها بكتوهم فيزداد غمهم والخامس ان مشاهدة عذابهم توجب مزيد التذاذهم بنعيم الجنة ثم قال من طريق العرفان الالهى لاشك عند أهل المعرفة ان جهنم صورة النفس الامارة ففى الدنيا يرد كل من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين هاوية الهوى بقدم الطبيعة لكن الانبياء لكون نفوسهم من المطمئنة يجدونها خامدة وأما الاولياء فيردون عليها

وهى ملتهبة ثم يجهدون ان يطفؤها بنور الهدى و يلتحق بهم بعض المؤمنين وهم المعفو عنهم و غير هؤلاء الطوائف الجليلة بالنار فى الآخرة فلا يحترقون بها أصلا وأما الكفار فلما كان كفرهم كبريت الهوى فى الدنيا فلا جرم يدخلون النار فى الآخرة ملتهبة فيبقون هناك محترقين مخلدين و يلتحق بهم بعض العصاة وهم المعذبون لكنهم يخرجون منها بسبب نور تقواهم عن الشرك وقال البيضاوى عند قوله تعالى (وان منكم الا واردها) الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وقال عند قوله تعالى (ونذر الظالمين فيها جثيا) منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارة بهم على هيآتهم

ومما تقدم يكون القول على هذه الآية الشريفة على ستة أنحاء (النحو الاول) الورود بمعنى الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (والنحو الثانى) الوصول اليها والحضور دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة و تنهار بغيرهم (والنحو الثالث) يدخلها الناس أجمعون من بار وفاجر فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على السيد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حتى ان للنار ضجيجا من بردها (والنحو الرابع) ان الكناية فى واردها راجعة الى القيامة (والنحو الخامس) ان المراد بالذين يردونها من تقدم ذكرهم من الكفار (والنحو السادس) ورود المؤمن هو مس الحمى جسده فى الدنيا

(ولنتكلم) أولا على الصراط فنقول روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ان الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يارسول الله قال فهل تمارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يارسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيأ فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا

جاءربنا عرفناه فيأتيهم الله عزوجل فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم أحد يومئذ الا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل شوك السعدان غيرانه لايعلم قدرعظمها الا الله عزوجل فتخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله سبحانه وتعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبلا بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار فقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاها فيقول هل عسيت ان فعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله عزوجل ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ماشاء الله ان يسكت ثم قال يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها ومافيها من النضرة والسرور فيسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب ادخلني الجنة فيقول الله عزوجل ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عزوجل منه ثم يأذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطعت أمنيته قال الله عزوجل زد من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى انتهت به الاماني

قال

قال الله لك ذلك ومثله معه وعن أبي سعيد انى سمعته يقول لك ذلك وعشرة أمثاله

(وفى) حديث مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول الناس مرورا على الصراط من يمر كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم أشد الرجال أى جريهم تجرى بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجىء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا الحديث * وفى رواية أخرى لمسلم فذكر الحديث الى أن قال ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فقيل يا رسول الله واما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك الحديث

وقد ذكر الصراط والجواز عليه فى أحاديث كثيرة ثبتت صحتها واتفقت الامة على القول بها والاعتماد عليها * و بهذه الاحاديث الصحيحة ثبت الصراط وتعين الجواز وترجح قول ابن مسعود والحسن وقتادة أن الورود هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها ويعضده أحد أقوال ابن عباس قد يرد الشئ الشئ ولا يدخله كقوله تعالى (ولما ورد ماء مدين) ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وينضم لهذا الرأى قول ابن مسعود ان الكناية فى واردها راجعة الى القيامة وقول البيضاوى ان المراد بالورود الجثو حواليها وما نقله الخطيب الشربينى فى أحد الاقوال من ان المراد بالذين يردونها من تقدم ذكرهم من الكفار فكنى عنهم أولا كناية الغيبة ثم خاطب خطاب المشافهة ويدخل فى ذلك قول مجاهد ان ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لحديث الحمى من فيح جهنم وحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار

والغرض من انضمام هذه الاقوال الى القول بالجواز أنها تفيد ان تفسير الورود بالدخول بعيد وهى الى القول بالجواز قريبة ولو قيل ان الاحاديث الواردة فى ان الحمى حظ كل مؤمن من النار بعيدة من أن تفسر الورود بالجواز فنقول انه اذا ثبت ان الحمى حظ كل مؤمن من النار فقد لزم عدم دخول من أصيب بها فى النار لاستيفائه حظه منها فى الدار الدنيا وتعين جوازه

على الصراط لانه طريق الجنة وامتنع دخوله الجنة بغير الجواز على الصراط الممدود على النار وامتناع دخول الجنة من لم يدخل النار غير جائز بل المكلف اما الى الجنة واما الى النار

وقد قلنا فى مقالتنا (عين اليقين) المندرجة فى جريدتنا (المكارم) فى عددها الصادر فى اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٠٦ هجرية نمرة (٦١) واذا رجعنا الى قوله تعالى (وان منكم الا واردها) واطلقنا الورود على الجواز فى حق المؤمنين والوقوع فى حق الآثمين منهم والكافرين لحكمت علينا آيات الله البينات بالقول بالعذاب الاليم واتخذنا (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) حجة عند من يرجع اقوالنا الى تناقض بل نقيم عليه الحجج القوية بأن لا تناقض حيث كان العذاب واقعا على الانفس الشهوانية المحرومة من لذيذ الالتفات الالهى ولو قلنا ان هذه نيران الحرمان متقدة فى اكباد الهوان فالحقيقة انها صور رقائقية تقرب مجاز الاهوال من حقيقتها فى حق المتنعمين بالقرب وانه جنة ومنة وشغل بالحقيقة شاغل والبعد نار وانه لعذاب الحريق ونقمة وشغل بالملاهى عامل الى آخر ماذكرناه فيها فمن أرادها فعليه بمطالعتها هناك وهو مما يعضد قول صاحب روح البيان من طريق العرفان الالهى المار ذكره وهذان القولان يرجعان الى النتيجة التى وضحنا مقدماتها الصحيحة ولم يبق معنا الا رواية جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم من ان الورود الدخول لا يبقى بار ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على السيد ابراهيم وقول ابن عباس لنافع بن الازرق حين ماراه فى معنى هذه الآية الكريمة ان الورود الدخول واستدلال الخطيب الشربينى بقوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا على الورود بقوله ولا يجوز أن يقول ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين بالكفر فيها جثيا على الركب الا والكل واردون الخ

وهذه الاقوال وان كانت قاضية بأن الورود معناه دخول النار ولكنها بلسان واحد ناطقة بانها تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على السيد ابراهيم

الخليل بخلاف الكفار فانها محرقة لابدانهم حتى يذوقوا العذاب بكفرهم ولما حكمت صورة الاقوال بالدخول على المفسرين ورأوا انها لا تقضى بعذاب واقع أجابوا عن فائدة الدخول التى لم تكن ظاهرة لديهم اجابات ترجع جميعها الى القول باغاظة الكفار على ان دخول العصاة من المؤمنين النار وعدم مسهم بسوء كاف فى نكايتهم ولا نحكم بأن الناس أجمعين داخلون النار لهذا الغرض الذى يكفى فيه العصاة وهم الاكثرون تنزيها لمن لم يقترف ذنبا عن أن يحشر مع المجرمين ولو لم يكن معذبا وفى الناس ساداتنا محمد وابراهيم وموسى وعيسى ونوح وجميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهم أكرم على الله من أن يدخلهم النار ويحشرهم مع أعدائه خصوصا وانه لم يرد نص صريح بذلك بل ان مدلول غالب الآيات التى لها تعلق بهذا الشان يخالفه مخالفة صريحة غير محتاجة الى تأويل ويكفيك فى هذا قول الله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها) والمبعد منها لا يوصف بانه واردها ولو وردوها لسمعوا حسيسها وقوله تعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) فاذا آمنهم الله من الفزع آمنهم أيضا من الدخول فى النار ولو لم يكونوا معذبين فان الدار الآخرة ليست محل ابتلاء الانبياء والامثل فالامثل بل انها دار كرامتهم بعد الفصل والحساب على ان فى الناس من لا يسئل أبدا ولا يحاسب فقد روى البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الامم فأخذ النبى يمر معه الامة والنبى يمر معه النفر والنبى يمر معه العشرة والنبى يمر معه الخمسة والنبى يمر وحده فنظرت فاذا سواد كثير قلت ياجبريل هؤلاء أمتى قال لا ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت ولم قال كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام اليه عكاشة بن محصن فقال ادع الله أن يجعلنى منهم قال اللهم اجعله منهم ثم قام اليه رجل آخر قال ادع الله أن يجعلنى منهم قال سبقك بها عكاشة

(وروى) مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب قالوا من هم يارسول الله قال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وروى الترمذى وابن ماجه عن أبى امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى عزوجل * وروى أبو عبد الله الحكيم الترمذى رحمه الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى أعطانى سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطانى مع كل واحد من السبعين سبعين ألفا فقال عمر يارسول الله فهلا استزدته ثانيا فقال قد استزدته فأعطانى هكذا وفتح الراوى يديه وقد وردت أحاديث كثيرة فى أمور من فعلها دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب وكلها تؤيد ان المراد بالورود الجواز فى حق المؤمنين والوقوع فى حق الآثمين منهم والكافرين والدلائل التى مرت عليك فى كلامنا كافية شافية لا يحتاج معها الى اثباتات أخرى * ولما كان الحديث الوارد فى ان الورود معناه الدخول لم أرا احدا يطعن فى سند فمعناه فيما نورده عليك الآن فتأمله تفهم القصد قال الامام الغزالى وغيره رحمهم الله لن يجوز أحد الصراط حتى يسئل فى سبع قناطر فأما القنطرة الاولى فيسئل عن الايمان بالله وهى شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز والاخلاص قول وفعل ثم يسئل فى القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل فى القنطرة الثالثة عن صوم رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل عن الزكاة فى القنطرة الرابعة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل فى الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامين جاز ثم يسئل فى القنطرة السادسة عن الغسل من الجنابة والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ثم يسئل فى القنطرة السابعة وهى أصعب القناطر عن ظلامات الناس (وفى) الحديث الصحيح انه يحبس على

الصراط كل من تكلم فى عرض أخيه بالاثم ويقال له أثبت هنا ما قلته فى حق أخيك فان لم يثبته تزل قدمه فى النار
وقد أثبتنا فيما تقدم ان الجواز على الصراط ضرورى لمن يدخل الجنة وهذا الصراط كما علمت ممدود على متن جهنم والعباد يمرون عليه منهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كمر الريح على حسب تفاوتهم فى الدرجات والاعمال ولاريب فى أن المرور على الصراط وجهنم متقدة ولها زفير وشهيق تخطف الناس باعمالهم فى حكم الدخول ولو قلنا ان الناس أجمعين ينالون منها بقدر ما يجعلهم قريرى العين بما أعد الله لهم من النعيم المقيم لصح هذا نعم بلغنا ان النار تقول لمن يمر عليها من المؤمنين جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبى وهذا يثبت خلافه ولكن قول النبى عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى ان دعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم يفهمنا أن الناس فى ذلك الوقت وفيهم الرسل تكون فى وجل وهذا كاف فى شرح هذه الآية الكريمة التى رأى عماد الدين انها تقضى بدخول الناس أجمعين فى النار وتنصر فرارا منها على انها لو كانت كما يدعى لقابلها ما اتفق عليه أصحاب الاناجيل من ان (المسيح) صلى الله عليه وسلم (بينما هو خارج الى الطريق ركض واحد وسأله أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الابدية فقال له يسوع لماذا تدعونى صالحا ليس أحد صالحا الا واحد وهو الله) فقد نفى الصلاح عن العالمين وفى نفيه اثبات ضده وضده فى النار * ولو قيل ان المسيح عليه الصلاة والسلام كما فى زعمهم فداهم بنفسه وطهرهم بدمه فنقول ان المسيح كما فى الاناجيل ضرب لهم مثلا (قال اسمعوا مثلا آخر كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه الى كرامين وسافر ولما قرب وقت الاثمار أرسل عبيده الى الكرامين ليأخذ أثماره فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الاولين ففعلوا بهم كذلك فأخيرا أرسل اليهم ابنه

قائلا يهابون ابنى وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه فمتى جاء صاحب الكرم فماذا يفعل بأولئك الكرامين قالوا له أولئك الاردياء يهلكهم هلاكا رديئا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الاثمار فى أوقاتها قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناؤن هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره الخ) فالذى فرمنه عماد الدين وقع فيه فانه بهذا المثل ثبت ان الله سبحانه وتعالى لم يرض عن عمل أولئك القوم الذين أجمعوا على قتل المسيح وصلبه ولولم يرفعه مكانا عليا وألقى شبهه على رجل منهم فصلبوه لتم أمرهم فى عيسى عليه السلام ولكن حقت عليهم كلمة القتل والصلب فباؤا بها وقد باء بالاثم كذلك من رضى بالصلب والاهانة وصار حكمه حكم من صلب وأهان وان قيل ان الفداء يستلزم ذلك الصلب فليس فى الاناجيل ما يفهم بادنى اشارة ان المسيح كان راضيا عن الصلب بل كان ساخطا عليه راجيا من الله النجاة منه حتى وصلت به حالة الخوف والجزع الى ان قال الهى الهى لماذا تركتنى

ولو كان للفداء أصل الهى لتقدم للصلب بنفس مرتاحة خرقا للعادة فى مثل هذا المقام

وفى جزع المصلوب وشدة خوفه اثبات كاف فى انه غير المسيح كما يعتقد أهل الاسلام وعباراته التى كان يتفوه بها حال الصلب حقانية فانه ليس هذا المقصود بالذات

ولو قيل ان المثل أفاد قتل الابن خارج الكرم فنقول ان صلب الذى وقع شبه المسيح عليه أفاد رفعه الى السماء وانقضاء أيامه فى الحياة الدنيا وذلك فى حكم القتل وهو المطلوب

* وها نحن تلك الامة التى اختارها ربها لتعمل فى كرمه بأوامره وعز شأنها

ورفع

ورفع عمادها وفضلها على سائر الامم قال جل شأنه (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) واذ ثبت بالمثل المتقدم ان ارادة صلبه واهانته شنيعة وفظيعة وأن يهلك الله من يفعل تلك الفعال هلا كا ردياوينزع منهم قوى الايمان التى هى أصل السعادة ثبت ان القائلين بالصلب والراضين عنه والمستأنسين اليه فى حكم فاعليه على فرض الوقوع

* والاعجب فى معتقدات الطائفة المسيحية كما جاء فى أعمال الرسل وغيرها ان المسيح هو الفادى لكل العالم أى مخلصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام التى ورثوها عنه اذ لا يجزئ تقديم الذبائح كما كان يفعله المتقدمون ولا تقديم أنفسهم فدية ولا يجزئ الا أن يقدم الاله ابنه على انهم يقولون ان المسيح قد صلب من حيث هو انسان وفى هذا القول رجوع الى الاقرار بعدم كفاية تألم الناسوت فدية للعالم وكيف أتى مخلصا وفاديا للعالم أجمع والمثل يحكم على صالبيه بالهلاك الردىء وهم من العالم المفدى بالصلب والاهانة ولو قالوا ان الفداء واقع لمن أقر بالصلب ورضى بأن هذه الاهانة هدية من الله تعالى لصادم ما فى أعمال الرسل من انه خلص العالم أجمع ولو سلمنا ان الذى تخلص من الخطيئة هو الذى قبل القول بالصلب والاهانة فالطائفة المسيحية بالنسبة للامة الاسلامية والامة اليهودية وغيرهما ممن لم يقبل هذه الدعوة قليل عددها وتذهب حكمة ارسال المسيح مخلصا للعالم أجمع بل انه يكون ضربة أخرى أوقعت غالب العالم فى خطيئة أعظم من خطيئة آدم عليه السلام وصاروا فى حاجة كلية الى واحد آخر يفديهم من خطيئتهم ويخلصهم من الهلاك واذا لم يقبله بعضهم لزم هذا البعض من يخلصه وهكذا فيلزم الدور والتسلسل

ولو سلموا انه مخلص للناس أجمعين من الخطيئة للزم من القول بخلاص العالم عدم وجود النيران وقد جاءت الشرائع بها وأجمعت على وجودها الان المنعم منتقم لعدم تساوى المنعم عليهم فى التقدم اليه بما يحب ويرضى وهذه قاعدة يشهد بها الوجود

وما رواه * وأما قول عماد الدين انه لم يذكر في القرآن أن محمدا صلى الله عليه وسلم يشفع في أحد فظاهر خطؤه فيه وعدم اطلاعه على قضايا الدين ووقوفه على أسرارها نعم ان تلك المسئلة لم يفردها أحد من العلماء بقول لانها ليست من الامهات الواجب الاعتناء في بيانها للناس حتى يكونوا على علم من أمرها ولكنها من القضايا الاولية التي رسخت في القلوب وثبتت في الاذهان ثبوت صدق النبي الامين محمد عليه الصلاة والسلام فقد روى البخاري في صحيحه الذي اعتمدت الامة عليه وأجمعت على خلوصه من شوائب الكذب لثقتها بروايته وشدة تحري الامام البخاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ويقول ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا موسى الذي كلمه الله فيأتونه فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته ائتوا عيسى فيأتونه فيقول لست هناكم ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاستأذن على ربي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله ثم يقال ارفع رأسك سل تعطه قل يسمع واشفع تشفع فارفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني ثم اشفع فيحد لي حدا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فاقع ساجدا مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما بقي في النار الا من حبسه القرآن (قال السندي) يحتمل ان المراد بحبس القرآن ما يعم ورود الخلود فيه أو ورود عدم قبول شفاعة غير الله تعالى فيه أو السنة من حيث ان القرآن قد جاء بوجوب التصديق بالسنة فما وردت به السنة بمنزلة ما ورد به القرآن فاذا جاء في السنة ان قوما لا يقبل الله فيهم شفاعة أحد بل هو الذي يتولى اخراجهم من النار بمجرد فضله فيجوز ان يقال أولئك داخلون فيمن حبسه القرآن من

حيث

حيث انه جاء بوجوب التصديق بالسنة وقد وردت السنة بانهم لا يخرجون بشفاعة أحد فهم محبوسون نظرا الى الشفاعة وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال لقد ظننت ياأباهريرة ان لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه فقد ثبت بالسنة ان سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم يشفع فى فصل القضاء وهذه هى الشفاعة العظمى والمقام المحمود وفى اخراج العصاة المذنبين من النار وما صدقنا بما جاءت به السنة وآمنا به الا بأمر الله تعالى فى كتابه العزيز فى قوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فاذا علمت ان الشفاعة التى يقول بها المسلمون قد أخبر بها النبى عليه الصلاة والسلام ونحن بنص القرآن مأمورون بتصديقه فى جميع ما صح وروده عنه عليه الصلاة والسلام وقد اتفقت الامة على صحة ما رواه الامام البخارى فاعلم ان القرآن جاء صريحه بان النبى عليه الصلاة والسلام لم ينطق عن الهوى اذ قد فنى فى الله من أول نشأته صلى الله عليه وسلم فلا يقول الا حقا ولا بد ان يكون ذلك مقنعا أو كافيا فى ان الشفاعة وان لم ينص عليها القرآن صريحا الا أنه أمرنا باتباع النبى وتصديقه فى جميع ما يقوله لانتفاء الكذب عنه وقد قال بانه الشفيع فى فصل القضاء فاذن صارت السنة السنية والقرآن العزيز فى اتفاق على ان المصطفى صلى الله عليه وسلم هو الشفيع فى فصل القضاء كما مر وفى خروج العصاة من النار

فاذا رجعت أيا عماد الدين الى الضلال وقلت لا يزال فى القلب بقية من جهة الشفاعة اذ لم ينص عليها القرآن وقد قال الله فى كتابه العزيز (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) وذلك القول مما يؤيد ان الشفاعة مذكورة فى القرآن ولكنها محجوبة عنك فأقول وبالله التوفيق

ان الشفاعة العظمى مذكورة فى القرآن بالنص الصريح الذى لا يحتاج

الى تأويل وهو قوله سبحانه وتعالى فى سورة طه (١) (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا) وقد أذن الرحمن للنبي محمد عليه الصلاة والسلام ورضى قوله فى قوله تعالى فى سورة البقرة (وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) والوسط هو الخيار اذ خير الامور أوساطها كالشجاعة بين الجبن والتهور فقد دلت هذه الآية الكريمة الدلالة الصريحة على ان الله جعلنا وسطا لنكون شهداء على الناس وجعل الرسول علينا شهيدا وما جعلنا شهداء والنبي شهيدا علينا يوم القيامة حيث ينكر الامم تبليغ الرسل الا ونحن عدول ومقبولة شهادتنا وشهادته عنده تعالى بل يؤخذ من صريح الآية ان الاصل فى ايجاد نا هو لهذه المزية العظمى والخصوصية الكبرى وقد زادتها آية سورة طه وضوحا وجلاء فهما متلازمتان فى ان الشفيع فى فصل القضاء وفى اخراج العصاة من النار وصاحب

---

(١) ذهبت يوما ما أنا والعالم الفاضل الشيخ أحمد أبو خطوة مفتى ديوان الاوقاف العمومية لزيارة العالم الكامل الفيلسوف الشيخ حسن الطويل أحد كبراء المدرسين بالازهر الانور وبمدرسة دار العلوم الخديوية فسألانى فى الشفاعة وكيف أقول بوجودها صريحة فى القرآن الشريف محتجين بان آية سورة طه فيها شرطان الاذن بالشفاعة والرضا بالقول وليس فى آية وكذلك جعلنا كم أمة وسطا الا شرط واحد وهو الرضا بالقول وان ذلك لا يرضاه النحويون فقلت هل المرضى القول فى آية سورة طه غير المأذون له بالشفاعة فيها أم هو واحد فقال أحدهما هو واحد فقلت بدليل ان الرضا جاء بعد الاذن فى ترتيب الآية أم الرضا حاصل لمن أذن له الرحمن بالشفاعة فالمأذون له بالشفاعة والمرضى القول هو واحد وما بقى الا أن نبحث عن المرضى القول المأذون له بالشفاعة وقد نصت آية وكذلك جعلنا كم على المرضى القول وهو محمد عليه الصلاة والسلام فقال الثانى أنت جعلت التلازم بين الآيتين عقليا فقلت ولا ينكر على النحاة ذلك أيضا

المنزلة العلية والملة ام المحمود هو النبي محمد عليه الصلاة والسلام وقد عززتهما الآية الكريمة (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وبهذا فهو خير الرسل وأفضلهم وأقربهم الى الله ومابقى عليك بعد هذه الآيات البينات أيا عماد الدين الا أن ترجع الى الاسلام وتقر عينا بصدق سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام

﴿الباب الثالث في بيان آداب السالك في طريق الآخرة التى أغفلها عماد الدين﴾

(قال الذى كفر) فمنذ ذلك (أى عند الحيرة التى احتارها بسبب الآية الكريمة وان منكم الا واردها الخ) ازددت اجتهادا فى التعبد والتزهد وقد شققت على كثرة ذنوبي ومعاصي فقمت على ضريح الولى الشيخ عبدالله وبت الليالى عند قبره وأنا أبكى وأتضرع وكذلك زرت تربة الولى نظام الدين والقلندر أبى على ثم دخلت طريقة الفقراء وبعد ان طليت جسمي بالتراب الاحمر سحت فى الاراضى وأنا سائل من قرية الى قرية ومن بلد الى بلد حتى قطعت فى سفرى مسافة خمسة وعشرين ألف ميل على رجلى فلما وصلت الى بلد (فاروك) وهى على شاطئ نهر يقال له نهرشوايدة نزلت بساحله وصليت وعملت جميع ما يوجبه حزب البحر من الاعمال المذكورة فى كتاب كان أعز على من القرآن وكنت أحمله دائما فى جيبي فوق قلبي فبقيت عند ذلك النهر مدة اثنى عشر يوما وأنا بارك على احدى ركبتى ليلا ونهارا وكنت أسرد التسبيح المسمى (لوفو بار) ثلاثين مرة كل يوم بصوت الجهر وأنا على ريق الصيام عارى الرأس حافى الرجلين لا أمس انسانا ولا أكلمه ثم كتبت اسم الله مائة وخمسا وعشرين ألف مرة فى أطراف كاغد وكنت أجعل كل طرف كاغد فى كرة من العجين وألقيها فى النهر ليأكلها السمك بمقتضى ما أمر به الكتاب الذى كنت حامله فأقمت مدة على تلك الحالة وتخيلت انى أرى الله ورجوت من ذلك تسلية قلبي واطمئنانه فقد كانت فنيت صحتي واصفر لونى وتألم جسدى

وعدمت قوتى فمنذ ذلك قدم الى المسلمون من أهل البلد وأخذوا بيدى وأتوا الى بالادوية وأكرمونى غاية الاكرام وصاروا تلامذى فخطبت لهم فى الجامع وكل من لقينى فى الطريق قبل ركبتى كأنى ولى هذا كله ولم يتهون خاطرى فجعلت أبغض دين الاسلام ولست اذ ذاك أعرف دينا غيره فمرت على ثمانية أعوام أو عشرة وأنا أقول ليس فى الدنيا دين صحيح مستقيم وكنت سابقا قد قرأت كتبا كثيرة فى الرد على دين المسيح منها كتاب الاعجاز العيساوى والاستفسار وعزلات الوهم وكلما كنت أخطب فى مساجد الاسلام أظهر العداوة على دين المسيح حسبما كانت تقتضى نيتى واعتقادى فى الاسلام (وأقول) ان الدين الاسلامى حفظه الله وأعلا كلمته ما أظهره سيدنا ونبينا محمد النبى الامى عليه الصلاة والسلام بين كفار قريش واليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان الا بآيات باهرة ومعجزات قاهرة أوقفت العقول عند حدها وأثبتت بكل وضوح وبيان صدق هذا النبى الكريم فى جميع ما جاء به من عند ربه عز وجل * ومن أمهات المعجزات التى أتى بها المصطفى عليه الصلاة والسلام القرآن العظيم الذى لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها خصوصا ما ثبت فى الاذهان من ملاءمة أحكامه للانسان على ممر السنين والازمان وان الله لم يرد بهذا الدين القويم والصراط المستقيم الا صوالح العباد وهو أعلم بها ومع ثبوت الدين بالدلائل الواضحة التى قبلها العرب الفصحاء الذين لم يكن لهم شغل فى ابان ظهور سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا الفصاحة والبيان واحراز قصبات السبق فى هذا الميدان فليس أحد ممن يكون خارجا عن الدين ويرغب فيه ممنوعا عن البحث والتنقيب فى قضايا الدين الاساسية ومباديه الاولية حتى يتمكن بالدليل والبرهان من قبوله التدين به وعبادة الله بما حده من العبادات * فاذا علمت ذلك فاعلم ان الدين المحمدى قد احتوى على أسرار كلية وخوارق باهرة الهية قد عرفها وتحقق بها أهل المجاهدات من المسلمين ثابتو الايمان راسخو العقيدة الذين لا تتزلزل أقدامهم ولا تحار أفكارهم وهؤلاء

وامثالهم

وامثالهم قد أقسم الله بان يهديهم سبله فى قوله جل شأنه (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

ولا يجهل أحد ممن اطلع على الكتب الدينية الاسلامية ان المجاهدة المقصودة هى الزام النفس حد الشرع وحملها على الطاعة والانقياد لاوامر الله تعالى وقد حد السيد الجرجانى المجاهدة فقال انها فى اللغة المحاربة وفى الشرع محاربة النفس الامارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب فى الشرع وقد سمى أهل العرفان المجاهد فى الله مريدا وهو كما قال الشيخ محيي الدين بن عربى قدس سره من انقطع الى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن ارادته اذ علم انه ما يقع فى الوجود الا ما يريده الله تعالى لا ما يريده غيره فيمحو ارادته فى ارادته فلا يريد الا ما يريده الحق تعالى

وقد قال عماد الدين انه ما ازداد فى التعبد الا بعد حيرته واندهاشه مما تقتضيه الآية الشريفة من الحكم بدخول الناس أجمعين فى النار والشاك فى الدين مهما أفرغ الجهد وأتعب النفس وحملها ما لا طاقة لها به لا يصل الى شئ من أسراره ولا يكشف له عن أستاره بل يزداد عماية وجهلا ونفورا لانه لم يقصد بالعبادة مقاصد أهل اليقين من ملازمة الانقياد والطاعة والقيام بشؤون الدين حبا فى الله وحبا فى رضاه والنظر الى وجهه الكريم والاستظلال بظله يوم لا ظل الا ظله بل قصد بالتعبد الزائد والخروج بالنفس عن حد قدرتها واذ لاح لها كشف القناع عن صحة الدين على ان المجاهدة لم يكن المقصود بها الا اماتة قوى النفس بحيث لا تخرج عن طبعها فانها اذا خرجت عن طبعها اخرجت بصاحبها عن دائرة التكليف الشرعى فضلا عما علمته من ان المجاهدة لا تصح حقيقتها ولا تتضح أسرارها الا للمخلصين الاشداء على الكفار الرحماء بينهم * وبما تقدم يكون عماد الدين مخطئا من وجهين عظيمين

الوجه الاول اجتهاده فى العبادة ليصل الى اثبات الدين من طريقه السرى وهذا محض جنون وللجنون فنون فان السلوك فى طريق الصوفية واعنى به

السلوك فى معنى آية (والذين جاهدوا فينا) لا ينتفع به غير المؤمنين الذين طهرت سرائرهم وصفت قلوبهم وحسنت نياتهم وتنزهت أفكارهم عن جميع الشبهات وأحلوا الدين محل القبول من أفئدتهم وتجافت جنوبهم عن مضاجع الاهواء وجاهدوا المجاهدة التى حددها أهل العرفان بما هو مطلوب فى الشرع

الوجه الثانى انه عمد الى المجاهدة على غير طريق شرعى وتعريف المجاهدة تحميل النفس مايشق عليها بما هو مطلوب فى الشرع بحيث يكون المريد منقطعا الى الله تعالى عن نظر واستبصار لا أنه فى حيرة واندهاش وشك فى أصل الدين كما كان عماد الدين الذى لم تكن أفعاله هذه الا ضرباً من الجنون فانها جميعها على خلاف ما يقتضيه أدب الشريعة الطاهرة ومناقضة لاوامرها الظاهرة فقد قال انه اتخذ المقابر مساجد مع تواتر النهى عن ذلك فى أحاديث كثيرة لو كان من علماء الاسلام كما يدعى لما جهلها ومنها من حديث طويل (ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك) خصوصا كونه طلى جسمه بالتراب الاحمر وساح فى الاراضى وهو سائل من قرية الى قرية حتى قطع مسافة طويلة فان ذلك هو البرهان الصحيح غير المحتاج الى مقدمات على انه مريض فى عقله اذ أنه لم يبن أموره على مستندات شرعية بل ولا آراء حكمية والدين الاسلامى الذى اساسه الطهارة التى هى شطر الايمان لم يدع أحد قبل عماد الدين انه يامر الناس بطلاء أجسامهم بالتراب الاحمر الذى يقول به هذا المختل الشعور والادراك أو يأمرهم بالسير على أرجلهم هذه المسافة الطويلة أو أقل منها من أجل استكشاف الحقائق الالهية أو معرفة صحة الامور الدينية وانما أمروا بالسير فى الارض فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ليعتبروا بمن تقدمهم من الامم أولى البأس الشديد الذين عاثوا فى الارض وأكثروا فيها الفساد وكيف أخذهم الله بذنوبهم وأذاقهم وبال أمرهم

وكل

وكل أمر ليس له مستند شرعي جاء به الكتاب الكريم أو السنة الصحيحة فهو باطل وصاحبه مبطل يلقى في الدنيا خزيا وفي الآخرة عذابا مهينا

فلعمري أي مستند لعماد الدين في سيره على رجليه المسافات الطويلة سائلا من قرية الى قرية وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن المسئلة وأمر بالاكتساب وتحصيل القوت ولا أرى وجها يمنع المريد المتجرد بحق من تحصيل الرزق يسعى في ذلك بنفسه ويشتغل فيه بقدر ما يسد به الرمق

هذا الامام الزاهد العابد الشهير أحمد السبتي ولد الخليفة هارون الرشيد قد صح في خبره انه لما زهد في الدنيا ترك بغداد دار السلام وأقام عند عجوز من الصالحات الطاهرات في برية خالية من الناس فكان عليه الرحمة والرضوان يشتغل يوم السبت في مهنة البنائين فيقتات ببعض أجرته وينفق باقيها أيام الاسبوع حتى سمي بالسبتي لانه لم يشتغل الا فيه فكان اشتغاله يوم السبت خلافا لليهود واشارة لعظم قدره وثبات قدمه في الدين وقد شهر أن والدته أعطته جوهرة تساوي ألف دينار فردها عليها بعد موته

وكذا ابراهيم بن أدهم رضوان الله عليه كان يحرس البساتين ويعمل على تحصيل القوت

نعم ان بعض الاكابر المتجردين لم يعمل على تحصيل القوت ولكنه كان لا يسأل أحدا عاملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وأولئك الاكابر أخذوا مقاماتهم من الحضرة الموسوية والحضرة العيسوية فان السيد موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام كان يقول رب اني لما أنزلت الي من خير فقير وما سأل ربه الا خبزا يأكله لانه كان يأكل من بقل الارض وقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه وكان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه القمر وضوءه في الشتاء الشمس وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض من البقل للبهائم وليست

له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يميل به ولا طمع به يذل رجلاه دابته وخادمه يداه حتى قيل له ألا تتخذ حمارا تركبه فقال أنا أكرم على الله من أن يستخدمني حمارا

(واعلم) ان أولئك الاكابر من أمة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذا ترقوا الى الحضرة المحمدية وتوجوا بتاج الكمال فى حضرة الجمال والجلال رجعوا الى التأسي بنبيهم عليه الصلاة والسلام الذى هو أحب العباد الى الله وأقربهم منزلة وأعظمهم أجرا وأكثرهم فى الملكوت ذكرا فلقد أكل على الارض وجلس كالعبد وخصف نعله بيده ورقع ثوبه وركب الحمار العارى واردف خلفه وخرج من الدنيا خميصا لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله وأى زهد أعظم من زهده عليه الصلاة والسلام وقد أتته الدنيا راغمة فلم يقبلها ولم يلتفت اليها قال البوصيرى قدس سره

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم

كيف لا وقد خيره الله بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا حتى يستكمل فى نفسه شرف العبودية التى هى أعظم منزلة ينزلها العبد من ربه فى مقام قربه منه والنبي عليه الصلاة والسلام أول عبد تحقق بالعبودية المحضة وقد شرفه الله حيث أضافه لنفسه بقوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) وما خير صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما وأحبهما الى الله تعالى وها هى كتب أهل الاسلام الممتلئة بفضائله العظيمة وأخلاقه الكريمة متداولة فى الايدى وكذا غيرها من كتب أهل المجاهدة والعبادة وليس فيها شئ من الخرافات التى تمسك بها عماد الدين وجعلها امامه فى سلوكه طريق أهل اليقين حتى اختلط عليه الامر واختبل فى العقل وساء مصيره وأى جنون أشد من جنونه حيث قال بانه نزل بساحل نهر شوليدة ومكث نحو اثنى عشر يوما وهو بارك على ركبتيه ليلا ونهارا يسبح بالا حقيقة له بصوت الجهر وهو على

ريق الصيام عارى الرأس حافى الرجلين لا يمس أحدا ولا يكلمه ويكتب اسم الله مائة وخمسة وعشرين ألف مرة فى أطراف كاغد ويجعل كل طرف من الكاغد فى كرة من العجين ويلقيها فى النهر ليأكلها السمك بمقتضى ما أمر به الكتاب الذى كان أعز عليه من القرآن فما سمعنا ولا رأينا أناسا يطلبون رضا الله تعالى بمثل هذه الافعال الخرافية التى ان ضمها كتاب فمن كتب المشعوذين الذين يقصدون توجه الافلاك بخواصها الى أرواحهم فيسلبون الناس أموالهم بما يظهر على أيديهم من الامور التخيلية وأولئك هم كفرة فجرة ولا شك أن هذا الرجل حذا حذو طريقتهم فانه كان يعظم ذلك الكتاب الذى كان أعز عليه من القرآن وما كان أعز عليه منه الا وهو منطو على أمور تخالفه ويأباها ظاهره وباطنه والاقدام على كونه أعز عليه من القرآن وهو أصل الدين ومن نبذ أصله واعتمد على غيره فذلك مما لا شبهة فى كفره ولا أرى لعماد الدين وجها يستند عليه فى تقديمه هذا الكتاب الخرافى على القرآن العظيم الا نبذ الدين وتيقنه بعدم صحته وما رأينا كتابا فى طريق القوم يأمر أحدا بمثل هذه الترهات ولن نرى وأهمها وقوفه على شاطئ النهر حافيا عارى الرأس مدة تصيره بالطبع مكتسيا من القذارة والوساخة بما لا يطاق النظر اليه والدين الذى يدعى بانه كان متمسكا به لا يرضى بذلك لاحد من أهله ويكفى فى هذا المقام الاستدلال بقوله تعالى (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) وكونه يواصل الصوم خطأ فاحش فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لمن واصل الصيام ما معناه انه لا ينبغى التأسى به فى مثل هذه الاحوال الخصوصية اذ هو عليه الصلاة والسلام يبيت عند ربه فيطعمه ويسقيه

﴿الباب الرابع فى أن رؤية الله تعالى غير ممكنة فى الدار الدنيا والكلام على قوله تعالى الله نور السموات والارض وأمور أخرى نافعة﴾

اعلم أيدك الله بروح منه وألهمك رشدك ان هذا الفاجر الضال عماد الدين

يقول بانه ما طاب بهذه الفعال الا رؤية الاله سبحانه وتعالى ورؤيته عز وجل غير متيسرة فى الدار الدنيا كما نص على ذلك الدين الاسلامى ومن قبله التوراة والانجيل وكأنه لم يسمع بقصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لما طلب ذلك وتجلى عليه ربه فدك الجبل وخر موسى صعقا حتى ان فى علماء الدين الاسلامى من أنكر الرؤية وجعلها مستحيلة على النوع البشرى وقال ان لن فى قول الله سبحانه وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن ترانى للتأبيد وان أقيمت الحجج على بطلان هذا القول بما ثبت وروده عن النبى صلى الله عليه وسلم من طريق صحيح رواه الامام البخارى رضى الله عنه وتقدم لنا اثباته فى هذا الكتاب من اننا نرى ربنا يوم القيامة كما نرى الشمس أو القمر ليس دونهما سحاب ولكنه لا يدع لمثل عباد الدين وجها يستند عليه فى أن الرؤية ممكنة فى هذه الحياة الدنيا مع ان ذلك محال لما هنالك من الحجب وأهمها حجب الجلال القائمة على الناس بالقهر والخشية وقد تكلمنا على حجب الجلال المانعة لرؤية الذات الالهية عند ما شرحنا قوله تعالى الله نور السموات والارض بدعوة كثير من العلماء الاعلام فى مجلس عام فناسب ان نذكر ذلك هنا تكميلا لفائدة الكتاب ولانه موضح للقلب أحسن توضيح وكيف تتصل أنواره الايمانية بنوره تعالى وهو هذا نصه

القلب قلبان جسمانى وهو من عالم الخلق وروحانى وهو من عالم الأمر ولله الخلق والامر جميعا أما الجسمانى فهو الجسم الصنوبرى الشكل الموضوع فى الصدر جهة اليسار فى مكان يناسب الجسم كله وأما الروحانى فهو اللطيفة الربانية مهبط الاسرار الملكوتية والتجليات الرحمانية وتلك محل نظرها من القلب الجسمانى التجويف الأول من تجويفى القلب فانها تقوم به على كيفية تناسبها ولذلك كان اصلاح القلب حتى يملك اعتداله المتوقف عليه اصلاح الجسم كله وانتظام اللطيفة من الامهات فان القلب الجسمانى اذا فسد اختلت اللطيفة وضعف استعدادها من عوالم الانوار العرفانية لما هنالك من شدة الارتباط بين القلبين ويمكننا أن نقول ان القلب واحد وهو الجسمانى واللطيفة الربانية سره

وخاصيته كما توجد في جميع الاشياء خواص واسرار ولكن تتفاوت الخواص حسب تفاوت شرف المحل الذي له تلك الخاصية ولم يكن ثم أشرف من القلب ولا ألزم من تعهده بالاصلاح فان خاصيته لا تستكمل وتكون في شرفها الا باعتدال محلها وهكذا جميع الاشياء تفقد خواصها أو تضعف اذا حصل في نفسها اعوجاج عن أصل خلقتها واذا حصل ذلك لم يبق لها شأن يشرفها ويرفع درجتها فان الشئ يشرف بخاصيته وخاصية القلب الصنوبرى اللطيفة الربانية المتعلقة به من جهة التجويف الاول كما في القول المتقدم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب

ومن المعلوم ان الانسان ليس مخلوقا الا لمعرفة الله وعبادته وقيامه بالطاعات لا يتيسر الا باصلاح بدنه وقد قدمت صحة الابدان عن صحة الاديان في العرف وفي الشرع لاستدامة توازن الجسم على وتيرة واحدة تحفظ القلب من غوائل الامراض حتى يستقيم حال الجسم وينشط للعبادة ويستنير القلب وتستشرف خاصيته بما لها من الاقتدار على عوالم الملكوت وتكون محلا لنظر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم والى أعمالكم والقلب المسجون في سجن المطاعم والمزاعم بالضرورة لا ينظر الله اليه ولا يزكيه بل يحرمه من استكمال شرفه أو حصوله على خاصيته وتلك الخاصية يمكننا أن نملك أمرها ونستكشف بها الاسرار العرفانية ونستطلع بها أحوال العوالم الملكوتية اذا هذبنا أنفسنا بالرياضة ومزجناها بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب

وهذا السر الذي قدمنا انه خاصية القلب اللحمى لما كان هو مقصود أهل الحقيقة وعليه مدار بحثهم وهو الذي وسع ربه تعالى لعدم تحيزه وحصره وقد سماه الله قلبا في قوله ما وسعني أرضي ولا سمائي بل وسعني قلب عبدي المؤمن انحصرت تسمية القلب فيه في جميع أقوال علماء الحقائق المقدسة الباطنية ولا ينصرف

القلب فى كلامهم الالهيه وكذلك هو مقصود الحكماء الالهيين من الاصلاح ولكن بهذا صلاح القلب المعنى الذى مدار استواء اللطيفة واستكمال شرفها عليه

ولما كانت اللطيفة الربانية هى المستعدة لان تنجلى بها حقائق الاشياء فلاجل تمثيلها وتقريبها للافهام علمنا بهذه الواسطة نعرف السر المتصل بينها وبين العالم الملكوتى وكيفية اقتدارها على قبول جميع المرائى الحسية والغير الحسية من العلوم الربانية والحقائق الصمدانية فنقول

ان القلب الصنوبرى الشكل وجد مركبا على صورة تقبل الحرارة الغريزية الناشئة من استحكام جواهره الطبيعية ولذلك تجد تجويفه الايسر داخله بخار على شكل الضباب يتفجر من عيونه نور ساطع يأخذ بالابصار وهذا النور له مجار واصلة باحكام واتقان الى مرآة العين الباصرة وبواسطته انجلت المحسوسات بالكيفية الواضحة لدى النظار وكما انه كشف المحسوسات للعين كما يقتضيه تركيبها الطبيعى الذى هو من اجزاء يناسب بعضها بعضا بقدرة وصنع غير مدركين للعقل الانسانى المحدود بحدود محسوسة هو واقف عندها يبحث فيها وفى حقائقها فكذلك له مجار الى جهة الملكوت من جميع جهاته بصورة لا تحملها العبارة تنفتح هذه المجارى والمنافذ بامور ليست محسوسة وانما الامور المحسوسة بابها وسبيلها فتنكشف حينئذ بهذا النور الالهى جميع المرائى الغير المحسوسة للعين الباصرة من العرش للفرش

وكما ان العين الباصرة اذا حصل فى تراكيبها خلل لا يتجه اليها النور الذى تنكشف به المرائى الحسية واذا يقال لها عين عمياء فكذلك لا يبصر الانسان ماهنالك من المرائى الغير المحسوسة الا باتجاه القوة الايمانية غير المحسوسة الى القول بواحد لا اله سواه وبرسل مقتدرين على التبليغ لا اغراض عندهم وتنسد مجارى هذا النور وينكمش مع البخار المنعقد على التجويف الايسر من القلب باتجاه القوة الى زخرف الحياة الدنيا غير ان الرياضة ولو كان صاحبها

كافرا

كافرا تعمل انفراجا قليلا في المجاري حتى يقتدر ذلك النور الكشفي على ان يرسم في ذاته الانوار الحسية لا العلوم الالهية الايمانية

وقد شبه أهل الايمان المحققون القلب بالمرآة التي تنطبع فيها الصور المحسوسة بانعكاس الاشعة الضوئية وقالوا كما أن المرآة لا تنطبع فيها الصور واذا تكونت عليها طبقات من الصدأ فكذلك مرآة القلب لا ينطبع فيها شئ أولا يظهر كمال الظهور اذا صدئت من الذنوب والآثام وبالاخص بحجاب الكفر والطغيان وقد صدقوا انما هذا الحجاب ليس من شأنه طمس مرآة القلب عن ان تنعكس فيها الصور بالمرة بل يرى الفساق والكفار بمرآة قلوبهم ما هنالك من العوالم الحسية البعيدة عن الانوار البصرية كالافلاك والكواكب مثلا ولذلك اكتشف أهل الرياضة من الحكماء الاول غير الالهيين دورات الافلاك والكواكب وعرفوا سيرها ونظامها وكيف هي متعلقة بالارض ومرتبطة بها وبهذا اقتدروا على تدوين أمور نافعة للهيئة الاجتماعية وان كان المتأخرون سهلوا طرق الحساب والهندسة وأمكنهم استكشاف أمور فلكية عظيمة ولكن الفضل في ذلك للمتقدمين الذين مهدوا لهم الطرق وسهلوا حزنها وجاسوا بافكارهم خلال حقائقها وأصولها وقد نقل المؤرخون من أحوال أهل الرياضة ما يذهل العقول ويقضي بالعجب العجاب حتى قالوا ان بعض المولعين باستكشاف الحقائق كانوا يضعون أنفسهم في برميل من زيت السمسم أربعين يوما لا يأكلون فيها سوى التين حتى يتناثر لحمهم ويخرجون عظاما عارية من اللحم ومتى حصل لهم جفاف بواسطة الهواء خرقت اضواء عيونهم أكباد غيب السماء وتنكشف لهم المرائي العلوية بحقائقها الصورية وكل ذلك ممكن للمؤمن والكافر فان الجسم وروحه مركبان بالطبيعة على أمور فطرية لا دخل للايمان أو الكفر فيها غير ان الفارق بين المؤمن والكافر هو ان المؤمن عندما يشرع في الرياضة لا يقصد بها الا الاستنارة وخفة الروح حتى تقتدر بصفائها على قبول الافاضات العرفانية مع المداومة في المبادى على

الاذكار والاوراد ومع ذلك فترى أهل الرياضة العرفانية عند ما تنكشف لهم صور المرائى العلوية يسمون هذا المبدأ بالفتح الظلمانى أو الفتح الشيطانى لان الفتح لم يقع الا على الامور المحسوسة والخاصية الانسانية المستوى فيها المؤمن والكافر موصلة الى هذا الكشف متى تعود الجسم على أكل ما يلطف بشريته ويصفيها وهذا كما يحصل لمطلق انسان مؤمن وكافر يحصل لبعض الحيوانات التى فطرت أجسامها على فطرة الكشف فقد قيل أن ضوء عين الهدهد يخرق كثافة الارض حتى يرى الماء جاريا فيها أو راكدا وهنالك حيوانات أخرى ترى مثل الهدهد بل قال أهل الكشف الاطلاقى ان جميع الحيوانات لها تعلقات بهذا النظر الكشفى

أما أهل الرياضة من المؤمنين القائمين فلم يقصدوا بترك النعم الدنيوية الا جلاء القلوب حتى تكون محلا لتوالى نظر الاله ولذلك يعرضون عما يعرض لهم من الفتح الابتدائى الذى يسمونه بالفتح الشيطانى او الظلمانى ويفرون منه فقد أراد حاتم الاصم ان يعبر دجلة فالتقى له طرفا النهر فاستعاذ بالله من ذلك وعده محنة ونادى على ملاح فنزل فى سفينته وغير ذلك من أمور يطول شرحها وعند ما يصل العارف الى هذا الحد يأخذ فى التوجه نحو الاله ويستعمل كل ما يميت قوى النفس ويزحزحها عن مراكزها الظلمانية فتنبعث له من هذه المجاهدة انفراجات للقلب واتضاحات فينكشف له عن أسرار الموجودات فيراها قائمة بيد القدرة على صفة بديعة تأخذ بالالباب وتدهش الابصار وتحار منها الافكار وهنالك يدخل فى مقام الحيرة والاندهاش الى أن يفنى فى الله وتكون أفعاله جميعها الهية فلا يمشى الا به ولا يقوم الا به فاذا تحقق بكن الامرية انقادت له جميع العوالم وهذه عبارة من أطاعنى أطاعه كل شئ فيرى الحيوانات والسباع المفترسة تحن اليه وتنقاد لاوامره وتفاض عليه المعارف الالهية وهكذا من أمور غريبة يقصر القلم عن حصرها وهذا لا يكون لكافر صاحب الرياضة أصلا وأين هو من الاجتماع بالملائكة الروحانية والروح الشريفة المحمدية ومناجاة رب البرية

من طبقة الارتقاء الى عوالم النور بل قال الامام الغزالى عليه السلام فى احياء علوم الدين ان مرآة قلب الكافر صاحب الرياضة كالمرآة المقمرة تحدب الصور التى تنعكس فيها أما المؤمنون القائمون بالدين ففراستهم نور ايمان قذف فى قلوبهم التفاتا من لدنه تعالى ورحمة بالمؤمنين فقد قال السيد الكامل عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله

ولو رجعنا معكم أيها السامعون بعد هذا التفصيل الى الكلام على النور الالهى المستغرقة فيه جميع الاسماء والصفات التى نحن مظاهرها وان كان الظاهر والباطن هو من ليس كمثله شئ وهو السميع البصير لافضنا فى الحديث وأطلنا البحث فى أمور تكاد ان تكون معروفة عندكم لولا الوسائط التى قيدتم أنفسكم بها ومنعتموها عن حدمالها من النظر العالى والتحقيق الروحانى الربانى وكأنى بكم لا تجهلون المعنى الظاهر من حيث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر فان الأولية انحصرت فى هذا النور الذى سماه تارة بالقلم وتارة باللوح وهذا ما حملنا على الحكم بحصر الانواع المتفرقة فى أم واحدة هى لها أصل وهى عنها فصل وما الاصل والفصل الا شئ واحد قام به دليل العدم الفعلى فان كانت الاسماء والصفات نحن ظهرنا بها لنقوم بما لها من الشؤون فنحن اذا علة يحتاجها المعلول وهذا لا يقوم عليه دليل ولا تنهض به حجة وان أعطى ذلك ظاهر الوجود فقد أشرقت على قلوبنا أنوار الوجود فظهرت أجسامنا الارضية فكانت غشاء عليها ولكن لما كان الجسم متلاشيا حكمنا بعدمه وأثبتنا الوجود للنور الالهى الفائض من حضرة الاشراق فكان النور الاول الممد لجميع أنوار الانفس البشرية مستمدا من عالم النور الالهى الاقدس أى عالم الهيبة والجلال الذى اخترقه وجازه سيدنا النبى عليه الصلاة والسلام فى ليلة الاسراء ووقف دونه جبريل وهو ملك مقرب

وانما يا أيها العلماء الفضلاء والاجلاء النبلاء سمينا هذا العالم النورى عالم الهيبة والجلال لانه ليس شيأ مجسما ونقربه للافهام بما لو دخل انسان على سلطان

لا يعرف عاقبة أمره عنده فانه يرى هيبة تقوم به وتمنعه عن التقدم وتدهش لبه وربما أغمى عليه وانما هذا مثل ضربناه علمنا نعرف عالم الجلال بشئ نراه حاصلا فى أنفسنا وان سميناه غيرنا وهو ما يلحق الداخل على السلطان من الخوف وليس أمر عالم الجلال مثله فى الحقيقة الوجودية

ويقال أيها الاخوان لتلك الانوار الجلالية الانوار العقلية وأما الانوار الحسية فتشاهد انها مكتسبة من الشمس نهارا ومن القمر ليلا ولا يخفى ان القمر مستفيد من نور الشمس ولما كانت الشمس جسما ممكنا لذاته لا حارا ولا باردا كما اتفق على ذلك جمهور المحققين من طبيعيين وفلكيين وغيرهم لزم ان تكون الشمس مكتسبة نورها من شئ آخر ولا شئ آخر سوى هذا العالم النورانى الاقدس وذلك السر هو القائم بذلك الوضوح وبهذا ظهر ان نور الوجود هو نور جمال الحق سبحانه وتعالى فكل الكائنات مظلمة لذاتها مستنيرة بانارة الله فلا ظهور لشئ الا بذلك النور السارى فى جميعها مهما تنوعت أشكالها واختلفت أوضاعها فهو نور الكائنات ومنورها فتقول الله نور السموات والارض أى منور الكائنات بنوره الذى تجلى به عليها وهو فى الحقيقة نور ايمان لان الكائنات بما فيها من دراكة وغيرها خاضعة له وتحت قهره وانما اختص المؤمنون بعناية منه تعالى والتفات وصل بهم الى مجد لا ينتهى ولا يفنى

وحيث كانت الانوار الالهية التى هى أنوار الايمان المستغرقة فيها قلوب الموحدين ليست بالشئ المحسوس لنا بل بعيدة عن مداركنا وقوانا التى لنا من طريق أنفسنا اقتضت حكمته جل شأنه أن يشبهها بامور محسوسة مشاهدة تقريبا لافهامنا وتيسيرا الأن نقف على حكمة مالم نستطع ادراكه فقال عز وجل مثل نوره أى مثل نور المؤمن الذى شرح الله به صدره وأحيا به قلبه (أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا) كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار نور على نور اه

وكيف

وكيف يستمد السالك فى طريق الله على محال والطريق أنوار عرفانية تتلألأ فى جباه الساجدين الذين تستشعر قلوبهم بالقرب وترى بما أودع فيها من الاسرار الالهية وكونها مهبطا للانوار الكلية التى دعتها اليها القابلية التى هى النسب القائمة بين تلك الانوار الفياضة والنعم المستفاضة المرائى التى تقتدر مرآة القلب على قبول صورها فان هناك مالا تقبل مرآة القلب ارتسام صوره ولا ان تتحمل انعكاس بعض أضوائه عليها

نعم ان الله سبحانه وتعالى قال فى كتابه الكريم الله نور السموات والارض وهذا يقتضى أن جميع الانوار وأخصها نور الايمان هى من أنواره التى سرت فى جميع الكائنات علوية كانت أوسفلية حال الاشراق عليها بالخلق والايجاد وقد جعل سبحانه القلب من الانسان محلا لاستجلاء الانوار العرفانية ومهبطا للرحمة بالالتفات الالهى لهذه اللطيفة الربانية واذا قبلت مرآة القلب جميع الصور والمعلومات تقبلها على انها من نور الله الذى يقتدر على تحمل ما هو من حقيقته ونوعه

ولكن المظاهرة المنافية لمقام الالوهية التى أراناها الله فى أنفسنا وأقام بها الحجج على انها من فعل الخلائق استنادا غيرت جوها تلك الانوار وجللتها بسحائب ظلمانيتها واحتيج الامر لمجاهدة قسرية ترفع تلك البراقع الظلمانية وتزيلها من أصولها بزحزحة قوى النفس الشهوانية عن مركزكونها وضعضعة أركانها بالعمل كما جاء به الدين الاسلامى الحنيف على يد الهداة الذين جلسوا على منصة الارشاد بأمره تعالى لا الذين اتخذوا آلهتهم أهواءهم وكانوا عقبة فى طريق المسترشدين وأولئك المشايخ السوء قد قلنا انه لم يخل منهم دين من الاديان وربما يختلط أمرهم على أهل تلك الاديان الاخرى فيتمكنون من أغراضهم ولكن الدين الاسلامى لما كان الله مهيمنا عليه فجميع أهله الذين رزقوا نور الهى بصائرهم على علم من حقيقة أمرهم فضلا عن الاجلاء الافاضل الذين يغارون على طريق الله تعالى من أن يتصدى لبيانه وارشاد الناس اليه قوم جهلاء وتراهم

ينبهون على ذلك تلميحا وتصريحا فقد نقل القطب الشعرانى عن تلميذ سيدى على الخواص الشيخ العارف بالله أفضل الدين انه كتب لمن سأله عن مرتبة مشايخ القرن العاشر الظاهرين بأنفسهم فى مصر والجالسين فى الزوايا بغير اذن من مشايخهم فقال ماصورته

{بسم الله الرحمن الرحيم}

{اللهم أصلح من شذ كما شئت وكيف شئت انك الوهاب}

الحمد لمن أظهر العين بجموصفات العين حمد عبد بعبودية ربه ظهر وبربوبية نفسه بطن وأصلى على عبده الجامع وسره القامع لكل مبتدع فاجر ولعبوديته كافر وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء وشموس الاقتداء وسلم (وبعد) فقد قال الله الحكيم يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وقال تعالى قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين والسلام عليكم أيها المشايخ الظاهرون فى القرن العاشر الجالسون للناس بغير اذن الهى سلام سنة الاسلام رضا وأسأل الله تعالى أن يعينكم على تحصيل مقام الايمان أو بعضه فى مثل هذا الزمان الذى لا يوجد فيه القوت الا بالموت واعلموا أن السعيد من اتعظ فى نفسه ولم يجعله الله عظة لغيره وتعفف عن الاكل من بيوت اخوانه فى الولائم التى لم يردبها وجه الله ولم يجمع لهم الجوع على طعامه حتى يغضهم فلا يكمل عشاء الاصحاب الا من السوق وقد قال سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه وعزة ربى كل فقير لا يمد صاحب الطعام بالبركة الخفية طول عامه ويحمل عنه بلايا تلك السنة كلها ليس له أن يمد يده الى طعامه وقد مالت بكم أيها المشايخ نفوسكم الغوية الى حب الظهور الذى لم يرض به ابليس فى هذه الدار مع أمانه فى دار الدنيا من نزول البلاء عليه بالوعد الذى وعده الله به من الانظار الى يوم الدين وتصدرتم لامور لم يخلقكم الله لها ولا أنتم من أهلها وحسنت لكم أنفسكم أحوالا شيطانية وأمورا نفسانية منشؤها الوهم

والخيال بواسطة الاستدراج الكامن بين صفحتى المحو والاثبات وأعمى الله تعالى قلوبكم عن طريق الهداية وأمال نفوسكم الى طريق الغواية حتى ظهر أثر ذلك على وجوهكم فتنبهوا أيها الاخوان لنفوسكم قبل أن يحل بكم الدمار وتوبوا الى الله تعالى عن أكل الحرام والشبهات واحترفوا وكلوا من كسبكم ولا تأكلوا بدينكم وثيابكم الصوف وأخفوا نفوسكم حتى يضطركم الحق تعالى الى الظهور اما بأمر من رسوله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة واما باذن شيخ عارف قد خبر الطريق واعلموا أن من نازع أوصاف الربوبية لاجل هواه وقنع بما يظهر فيه سره ونجواه من خطاب ومعارف وكشوف ومواقف والقاء نفسانى ونفث شيطانى فليس من الله فى شئ بل هو من الله فى فىء فنعوذ بالله من الضلال بعد العرفان ومن النكران بعد الايمان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

* فألقوا سمعكم الى سماع هذه القاعدة التى برزت من اللوح الاعلى الى العالم الادنى جامعة لسر الهوية بصفة الاحدية ونعوت الواحدية لم تترك مرمى لرام ولا مرقى لراق فى صفحات الوجود ونفحات الحدود منزهة بلسان القدم متشبهة بلسان العدم من حضرة الازل والابد بسر تضعيف الاحد فى مراتب العدد لا يمكن اقتناصها بطريق النقل ولا يصح افتراسها بصحيح العقل مفطورة على التفويض والتسليم لكل قلب سليم وطور جسيم (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) اعلموا أيها الاخوان ان البرزخية الالهية الاولى القاضية لعدم الاسماء والصفات المتجلية على نفسها باحدية ذاتها المندرجة فيها الشؤون والمظاهر بتعييناتها الفائضة منها لها علما بسر الوحدانية الجامعة لمعانى الحقائق والدقائق وتفصيلاتها فى عرصة البرزخية الرحمانية التالية للبرزخية الالهية بالاستواء الالهى على العرش الرحمانى بظهور الاسماء والصفات أعيانا ملكية وأشخاصا انسانية وتنوعات حيوانية ونباتية بحسب القوابل وتنوع المراتب وتحول المظاهر وتبديل الشؤون بظهور ن والقلم وما يسطرون

حين التقم الصور صاحب الصور وتميز الطور بسر البطون والظهور والتكوين وتنا كحت الابناء فظهرت الآباء والابناء واندرجت الاسماء تحت ظلال المسمى وغرب الاشراق بالتفاف الساق وظهر الوصف بالحرف وبطنت الذات بشروق الصفات بل ما وقع بطون ولا ظهور ولا اشراق ولا احراق ولا وجد معدوم ولا عدم موجود الا ما أظهره القدم من صفات الحدوث والعدم وهو الآن على ما عليه كان ثم اعلم ان البرزخين المعبر عنهما عند أهل التحقيق بحضرتي الوجوب والامكان هما مظاهر الحقيقتين المحمدية والآدمية كما افصح بهما لسان التنزيل بقوله (حم والكتاب المبين) فالحقيقة الآدمية فاتقة للعدم وراتقة للقدم لان الخصيص برتبتها الاظهار والظهور للصور والشخصية والتنوعات الكونية والمراتب الايجادية والنفحات الاسمائية والنفخات الصورية لانه الخليفة المنزول والواصل الموصول من خزانة الازل الى بحبوحة الابد وانما نزل عن رتبة الامامة الى سر الاذان والاقامة ليتحقق بالتابعية كما تحقق بالمتبوعية والا لم يكن لقوله للنبي صلى الله عليه وسلم أنت أبو روحانيتي وابن جسمانيتي فائدة وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم * ثم لا يخفى انه كما فتق الابن القديم صورة العدم ورتق بالابوة صورة القدم كذلك فتق هذا الوالد الاكبر والخليفة المنتظر حضرة العدم بمفتاح القدم كما بدأنا أول خلق نعيده وكذلك ختم بابوته الظاهرة الجامعة أوصاف الكمالات وتعدد المقامات بسر الاحاطات المتكثرة بظهور الوحدانية المتوحدة بتجلي الاحدية في المراتب والشؤون والمظاهر والعيون من الازل الى الابد استيعابا واستيفاء جامعين لكل اسم ووصف وحائزين لكل معنى وحرف لان مظهره الشريف في هذا اليوم التقيدي معدوم لتكمل رتبة الظهور بسر نبوته وتعمر رتبة البطون بسر بنوته لانه حقيقة الصورة المخلوق عليها آدم فلذلك اختص بالكمال المطلق المحاذي للحق في اليوم المطلق على الاستواء الرحماني وبالعرش الالهي لفصل القضاء بشهادته هو وأمته على سائر الامم فافهم * ثم لما انفتحت الدورة

الآدمية بالتناسل البشرى والمظهر العددى كذلك انفتحت هذه الدورة المحمدية بالتناسل العرفانى والشهود الاحسانى والايقانى ولذلك تزايدت العلوم الالهية والمعارف الربانية وتناقصت العلوم الفلسفية المبنية على الافهام بظهور شمس الشريعة وبدو رالالهام وكذلك تنازلت الحقائق من حقيقة كل ناطق بطن بعد ظهوره الى حقيقة كل فرد ظهر فى هذه الدورة السيادية متصفا بحكم شريعتها كالخضر وعيسى وغيرهما تابعين لهذا الخاتم الجامع لجميع المقامات الالهية فى تعيناتها البشرية والملكية بكل ما احتملته صورة الظهور من حيث الوجود الذاتى الفياض على مراتبها وعوالمها الوجوبية والامكانية فمن ورث الايمان فى هذه الدورة السيادية فانما ورثه باحدية جمعه وتنوع وحدته متحققا بالعبودية قائما بحقيقة كل ما قامت به جميع الامم من سر الربوبية والعبودية بحيث ان توفرت مادة كل من كان تابعا ومتبوعا وارثا مستوعبا لكل حقيقة نبوية فى كل شخص من هذه الامة زيادة على ما اختص به من ارث مورثه صلى الله عليه وسلم بقدر حصته اذ لا يمكن استيعاب جميع ما تحقق به هذا الخاتم اكتسابا ووهبا الالمن تحقق بالوحدانية فى عصره اذ هو خليفته على أهله وماله

* واعلم يا أخى أن الحقيقة المحمدية هى سر وجوب الوجود الذاتى الممدة لحقائق الممكنات الاسمائية والصفاتية من عالم البطون الى عالم الظهور بالتدريج القابل لتفصيل المظاهر الكونية وتفصيل حقائقها الانسانية انما هى أوصاف سلبية لقوابل العالم ثبوتية الوجود لحقائق المتوحدة اذا امتدادا لحقائق من العين المطلقة عن الاطلاق العارية عن الاوصاف والاسماء والنعوت فى الحين الذى ظهر لنفسه بنفسه من غير تعلق اسم بسماه أو صفة بموصفها فلذلك قال (شهد الله أنه لا اله الا هو) فشهدت الاسماء على الصفات لعدم الشاهد والمشهود ابراءتها الثنوية اذ ذاك كان الله ولا شئ معه ثم تنزلت الوهية الاحدية عن ذاتها الذاتها الى هوية مقيدة وتنوعات متعددة فالهوية الاحدية سارية فى هويات الاعيان المتعددة لسر يان الواحد فى مراتب الاعداد وهو هى لا غيروا نما هى

حجب وهميات وأسماء وصفات عدميات قائمة في عدمها بالوجود المطلق الذي هو عين كل وصل وحجاب كل فصل كما فصل الحق اسمه الرحمن من الله وفصل الرحيم من الرحمن فلذلك تنوعت الاسماء والصفات وتعددت الاحديه في الواحديات وسجد كل قاب الى موجود خاص ظهرت به الهوية وأقرت بربوبيته الواحدية حين علم الاسم الظاهر في المراتب الكونية بعبادة الاسم الباطن في المراتب الانسانية (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) فكيف يحتجب الاسم الظاهر عن الوجود باسمه الباطن وقد انسحب حكمه على الوجود الحق بالقول الفصل وكيف يظهر له وجود وهو عين الباطن باسمه ومسماه في مراتب الظهور والبطون فهو الظاهر لا أنه كان باطنا الا انه ما ثم من يبطن عنه وهو الباطن لا أنه كان ظاهرا الا انه ما ثم من يظهر له فهو هو ولا انه بالهوية موصوف لان كل موصوف محدود وكل محدود مدرك وكل مدرك واقف وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر كل يوم هو في شأن وكما حكمت المراتب على الواحد باسمائها وتعددت المظاهر بأطوارها كذلك تعددت الرقائق وتنوعت الحقائق بالحروف الجثمانيات والحدود الوهميات فتبين ان الواحد كثير واللطيف خبير بما تنزل في سبحات الوجود وترفع في حجابته لانه الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * واعلم يا أخي ان هذه الحقيقة المحمدية لما تلبست بالمظهر البشري أخبرت عن زمان شريعتها وبقاء حقيقتها باليوم الموعود الذي له ولايته حيث قال صلى الله عليه وسلم ان استقامت أمتي فلها يوم وان لم تستقم فلها نصف يوم فلما جاوزت النصف علمنا انها استقامت فلله الحمد (١) وهذا اليوم

---

(١) ربما يقف المطالع عند هذا القول وينكر على الشيخ أفضل الدين رضي الله عنه ما فسر به الحديث فأقول ان حضرة الاطلاق لم تجعل لاهل الكشف تحقيقا يقينيا منهم ولا به ولذلك أبهم المحققون مطالعاتهم ورمزوا والهاروا موزا في مقالاتهم عن الامور الغيبية التي استأثر الله بعلمها ويؤكد ذلك ما قاله أبو هريرة رضي الله عنه لولم تكن في القرآن آية (يمحو الله ما يشاء ويثبت) لأخبرتكم بما كان وما

هو ابنة التمام وخاتمة الايام من يوم الدنيا الموعود لها لانه هو سابع أيام الدنيا فلذلك اختص صاحبه بيوم الجمعة فلا يوم بعده ولا حساب وليس بعده الا انتشار الظلمة وارتفاع الرحمة افتقد الشموس والاقمار وانعدام النجوم والانوار وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم

فالشريعة شمس والحقيقة بدر فنهاية شمس الشريعة في استقامتها حين استوائها على نقطة مركزها في سماء الاجسام وقبة الاعمال وذلك هو نصف اليوم الخصيص بظهور سلطان الشريعة وبعدم ظهور سلطان الحقيقة فلما مالت الشمس عن عرش الاستواء تحول سلطان الضياء ونزلت من سماء العمل الى أرض العلم والجدل وما زالت الشمس من مركزها الا وبدر الحقيقة مشرق في أرجاء سمائها فلا زال يسمو وينمو بظهور الحقائق العرفانية وشهود الطوالع الاعيانية كلما ازداد نور الحقيقة غاض نور الشريعة لان الشريعة محدودة والحقيقة مطلقة غير مقيدة فسلطان الشريعة عند استواء شمسها وهناك يظهر سلطان عزها وتنعدم الظلال عند الزوال وتعم الانوار كل متحرك وقار وينمدرج الظل

يكون الى يوم الدين فاما أن نعتبر كلام الشيخ أفضل الدين من هذا القبيل ولا نغير وجه محاسنه بالقول بأنه ظهر خلافه وأن الشيخ لم يكن من أهل التحقيق الكاملين حتى فاته ما الحضرة الاطلاق من المحو والاثبات فكتب ما أثبت الزمان خلافه وأتى بآية بطلانه بل الحق أقول ان طينة الارض انتنت وخبثت فأنتجت من أبنائها ما قوض بنيان الشرع وهدم أساسه وغير في وجه محاسنه وفشا الفساد وظهر منذ القرن العاشر كما هو ظاهر في خلال سطوره وبهذا حكم بانقضاء اليوم واما أن نعتبر كلامه من الكشفيات التي محاها ثبوت الحقائق الخاصة بالعلم الالهي على لوح الكائنات الوجودية وقضى على الشيخ بابرازها من عالم السر ضرورة اثبات التغيير في وجه كشف أهل الحقيقة فكأنما قام باظهار صفة المحو للوجود وذلك مقام كريم فليعتبر أولو الابصار

في المظنون و ينعدم الدليل والمدلول و يلتحق الوجود بالعدم و يعدم الحدوث بوجود القدم فاذا تدانت هابطة وابدر الغرب طالبة و رابطة ولابطال ماظهر من النور رماحقة ولمركزها سابقة وسائقة فهنالك تطاولت الحجب وامتدت النصب وكثرت الظلال والستور واندرجت الانوار في الطور وذلك عند آخر هذا اليوم وهي الساعة التي نحن فيها والحالة التي نحن عليها وقد بين الكشف والذوق اقتراب الامر الدنيوي وانشقاق الفجر الاخروي و زاد في البيان عكس الظلمة والظلال وقبض العلوم وفيض الضلال فلا يختم هذا اليوم الا على مثاله ولا يرتفع في مخل التحليل الا الا النخالة ﷺ وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدي عليه الصلاة والسلام وأخبره بوقت ظهوره من بقية هذا اليوم وقد قرب آن ظهوره ورفع مستوره مع علمنا بانه لا يظهر حتى تملأ الارض ظلما وجورا كما ملئت قسطا وعدلا وقد وجد الظلم والجور في خواصنا وعوامنا الا من شاء الله وكثرت الدعاوى في خصوصنا بغير حق وخرجوا بنفوسهم لدعوة الخلق بغير الحق (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة) وكيف يخاف من صمت أذناه وعميت عيناه بحلول الشيطان ووسواس الحرمان حتى صار لا يسمع قول الحق على لسان الرسول الحق (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) وكيف يدعي الوصول من هو عن عبوديته مفصول (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وكيف يدعي الايصال من هو عن الحقيقة في انفصال (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) جعلنا الله واياكم ممن استقام وتمسك بالكتاب والسنة ودام وعمل لآخرته ودنياه مع مراقبته الله في سره ونجواه وجعلنا ممن هو لعباد الله نافع ولنفسه وهواه قامع وان لا يفضحنا في الدنيا بظنوننا ودعوانا ولا في الآخرة بهتك استارنا وما انطوت عليه ظواهرنا وبواطننا وان يجعلنا مسلمين لقضائه مفوضين مستسلمين لحكمه وامضائه

شاكرين

شاكرين لنعمائه صابرين على بلائه خائفين من تقلبه فينا بجوده واثباته ورزقنا حسن الاتباع لشريعته وسنته والفهم عنه لنفهم فنعمل لآخرته وان يختم بخير سابقنا ولاحقنا وأولانا وأخرانا وأن ينبت لنا الزرع ويدر لنا الضرع وينزل علينا من بركات السماء والارض انه هو المنعم الجواد الرؤف الرحيم ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم هذا ما أظهره المولى على لسان المولى ولله الحمد دائما أبدا وصلى الله على سيدنا الاكبر والنور الازهر والحبيب المحبوب للرب المربوب سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان آمين اه

وقد رأيت أيها الضال عماد الدين أقوال هذا المحقق أفضل الدين وكيف أحاط بماهية الشرعة في الحقيقة خبرا وأحاطها بسياج الاختصار اللفظي وجلاها بالجمل البيانية فكشف اللثام عن ذات خدر تبهر العقول وتحار في محاسنها الافكار وماهي الا السر المصون الذي لا يقف على باب كنزه الخفي الا الكبار المقربين الذين صفت سرائرهم من اكدار النزغات الشيطانية ففازوا وأغمسوا في الزلفى بالنعيم اغماسا

واني أسألك اذا كنت من طالبي الحق كما زعمت ان لا تعلق آمالك ولا تشد رحالك الا لاناس تشربت قلوبهم الانوار العرفانية والحقائق الصمدانية وأولئك معروفون بكتبهم اذا كانوا في الدار الآخرة أو باحوالهم ومقاماتهم من الدار الدنيا اذا كانوا احياء يرزقون

ولا تغترر بالظواهر بل جس خلال البواطن وادأب في طلب الحق بالمثابرة على التمسك بالعروة الوثقى ولا تمل مع الاهواء فتردى

وأنتم أيها المسلمون وبالخير أقصدكم لا تمنوا النفس بما جاء من اخبار المهدي وتركنوا الى القول به فيقعدكم ذلك عن خير كثير فلقد أخبر الشيخ أفضل الدين بوجوده في القرن العاشر وما أظنه كاذبا وانما هو الروح من أمره تعالى ظهر لاحد المشايخ في تلك الصورة في مقام ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

﴿الباب الخامس في اثبات نبوة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والزبور والانجيل وغيرها من أحاديث النبوات السالفة﴾

(أما) قول عماد الدين أخزاه الله وارداه (جعلت أبغض دين الاسلام ولست أعرف اذ ذاك دينا غيره فمرت على ثمانية أعوام أو عشرة وأنا أقول ليس في الدنيا دين صحيح مستقيم) (وقوله وكلما كنت أخطب في مساجد الاسلام أظهر العداوة على المسيح حسبما كانت تقتضي نيتي واعتقادي في الاسلام) فبينهما تضارب ظاهر واما أن يكون القول الثاني ناسخا للاول أو يكون الاثنان حاصلين وهما متناقضان فيتساقطان بالقاعدة ويبقى صاحبهما فارغ الفؤاد لا يرجح عنده أمر على الآخر ومثل هذا الغاوي المخترق لا يعوّل على ما يقوله لجهله وحماقته بل وجنونه الظاهر ولو كان هذا القول للقسس على لسانه فهو جدير بهم وأشبه شيء بخرافاتهم

(قال عماد الدين) وحيث لم أعرف الانجيل ومافيه من الهدى عزمت على ان لا أبحث عن شيء من الدين ولا أطلب سوى لذة العيش فكنت على هذه الحالة مدة عشر سنين وأنا تارك الفرائض كلها فلما جئت الى بلد (لاهور) وسكنت بها التفت الى العلماء والشيوخ وتحققوا اني تركت جميع الفرائض من الصلاة وغيرها فغضبوا على وآذوني بانواع الاذى فاذا بالمولى عز وجل نظر الي بعين الرحمة وجدد اعتقادي وذلك اني كلما كنت أتذكر الموت ويوم القيامة يحصل لي من ذلك خوف شديد حتى أكون حائرا متغيرا ويحسبني أهلي مريضا من جسمي وانما أنا مريض من عقلي وقد كنت مدرسا ببلد (لاهور) في مدرسة التعليم وكان رئيس المدرسة رجلا دينا عالما اسمه السيد مكينطوش وكان قد بلغني الخبر في ذلك الوقت بان حبيبي المفتي سفيدار على قد دخل دين المسيح وآمن بسيدنا عيسى فكتبت اليه لاستفسر منه ما السبب الذي حمله على تبديل دينه وخروجه من الاسلام لانني عرفته رجلا أمينا صادقا ثم بعد ذلك قرأت كتب الرد على دين المسيح وقرأت أيضا كتاب الانجيل واطلعت على العهد الجديد والعهد

القديم

القديم وطلبت من فضل السيد مكينطوش ان يفسرلي ما يتضمناه فأجابني الى ذلك وقرأت تلك الكتب الى ان بلغت الى الفصل السابع من انجيل مارمتى فتحققت عند ذلك ان الاسلام مبني على غير الصواب وصرت أبحث في ذلك مع أهل الدين والعلماء مدة سنة كاملة و بعد ذلك ثبت عندي ان الاسلام ليس بدين من الله وان ادعاء محمد بالنبوة والرسالة افتراء وكذب وغرور وان لا تكون سلامة الا لمن اتبع دين سيدنا عيسى فأحضرت جميع أصحابي وأقراني وأخبرتهم بما في قلبي من الاعتقاد وطلبت منهم ان يبطلوا براهيني الماطعة وان يعجزوا عن ذلك يتبعونني ويدخلون بحبتي الى دين سيدنا عيسى فغضب كثير منهم ولكن سمع الكلامي بعض منهم وأظهروا مرادهم بتبديل دينهم لولا خوفهم من العداوة والاذى وحلفوني أن لا أظهر ارتدادي وقالوا الى اخف دينك الجديد ولا تؤمن بالمسيح الا سرا وكان منهم من كذب الثالوث ولم يصدق بان عيسى ابن الله فعند ذلك سلمت أمري للرب العزيز وتجهزت للمعمودية بحسب ما امر به المسيح واعتمدت بمدينة (أمرتار) ومن ذلك اليوم صرت ببركة سيدنا مجبور الخاطر مسرور القلب وزال عني الوسواس والهموم وبرئ جسمي وقويت صحتي وصرت لا أخاف الموت وانما سروري وتسليتي من كلام الله الذي رزقني بالعافية والغفران ويجعلني أغدو وأتقدم في النعمة والحياة الروحية واما احبائي وتلاميذي فصاروا كلهم أعدائي وأهلي تركوني وكرهوني ماعدا أبي وأخي وصاروا ينظرونني كأنني رجل فاسد لا عرض لي غير انني أسلي قلبي بالتذكر أن مثل هذه المصائب أصابت سيدنا عيسى أيضا في زمانه فلذلك أدعو لهم وأتضرع الى الرب أن يفتح بصائرهم ويهديهم الى معرفة الحق ويجعلهم هم أيضا شركاء بنعمته ويهب لهم خلاص أنفسهم والحياة الابدية فمن يوم معموديتي الى الآن اشتغلت بما يقوي دين المسيح على رد الاسلام وألفت في ذلك كتبا تنفع المسلمين الذين يريدون الدخول في دين المسيح والمعرفة التامة بحقيقة الانجيل فمن الكتب التي ألفتهم الى يومنا هذا كتاب تحقيق الايمان وكتاب هداية

المسلمين وتاريخ محمد وغيرها من الكتب وسكنت فى مدينة (أمرتار) ببر الهند وقد ذكرت ذلك لمن أراد ان يكاتبنى فى شأن ما تتضمنه هذه الاوراق انتهى

(وأقول) ان هذا الرجل المرتد ما أورد فى رسالته هذه شيأ من الادلة التى حولته من الحنيفية الى النصرانية وانما هذه خطة اقتفى أثر والده فيها ساقهما اليها سبق الكتاب عليهما بالخلود فى النار الحامية خصوصا وانه رأى فى الدين الاسلامى ما يشق على نفسه فعله فى اليوم والليلة من الصلوات والمفروضات وما يتبعها من السنن القائمة والنوافل وما يلحق بذلك من الورع والخشوع بخلاف غيره من الديانات الاخرى فانها وان وجدت فيها العبادات والامور الروحانية الشريفة الا أنها ليست بهذه المثابة ولا بهذا الترتيب الذى يجعل الانسان العامل به حريصا على شرف النفس وعلو الهمة (والجد غلاب النفوس) وقد صدق قولنا ما أنبأنا به عن نفسه انه مكث عشر سنين وهو تارك الفرائض حتى سهل عليه الدخول فى النصرانية (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) قبضة قبضها وقال هذه للنار ولا أبالى وقبضة قبضها وقال هذه للجنة ولا أبالى

فهذا الرجل باعتبار خاتمته السوء من قبضة النار لا بدليل دخوله فى النصرانية وانما بدليل حيرته فى الدين من أول نشأته وعدم معرفته الحق وكونه أبطن الحيرة والشك وأظهر الورع والعبادة ليموه على الناس بظاهره حتى تحكم الباطن على الظاهر فاحالة من أصله قال سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام ان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها

(وأما قوله) ان الفصل السابع من انجيل مارمتى حقق له ان الاسلام مبنى على غير الصواب فهو وهم وصل اليه من مرض عقله وخيبة سعيه * واليك الفصل السابع المذكور أنقله عن الانجيل حرفا بحرف

(انجيل

{انجيل مارمتى}

{الاصحاح السابع}

لاتدينوا لكى لاتدانوا لانكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها أم كيف تقول لاخيك دعنى أخرج القذى من عينك وها الخشبة فى عينك يامرائى أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك لاتعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بارجلها وتلتفت فتمزقكم

اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم لان كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له ام أى انسان منكم اذا سأله ابنه خبزا يعطيه حجرا وان سأله سمكة يعطيه حية فان كنتم وأنتم أشرار تعرفون ان تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه فكل ماتريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم لان هذا هو الناموس والانبياء

ادخلوا من الباب الضيق لانه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدّى الى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدّى الى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه

احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية ولا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية ولا شجرة ردية ان تصنع أثمارا جيدة كل شجرة لاتصنع أثمارا جيدة تقطع وتلقى فى النار فاذا من ثمارهم تعرفونهم

ليس من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل ارادة

أبى الذى فى السموات كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ أصرح لهم أنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم

فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لانه كان مؤسسا على الصخر وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها أشبهه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الانهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما فلما أكمل يسوع هذه الاقوال بهتت الجموع من تعليمه لانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة اهـ

فغاية ما فى هذا الاصحاح الذى يزعم عماد الدين بجهله انه يبطل دين الاسلام انه حض على التقوى وخلوص الطوية الى غير ذلك من التعاليم التى جاء بها القرآن أحسن وأجلى وأوقع فى النفوس وأولى وتقدم فى صدر كتابنا هذا ما كفانا مؤنة التفصيل هنا

وكأنى بهذا الفصل الشريف والقول المنيف قد شهد بنبوة سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام اذ قوله احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة يخرجه من هذه الصفة القبيحة فلقد كان عليه الصلاة والسلام كما نقل على لسان التواتر الصحيح قانعا باليسير مكتفيا بالقليل من القوت آخذا بزمام العفة والامانة مقتفيا أثر اخوانه الانبياء يجوع يوما ويشبع يوما وقد خرج من الدنيا خميصا من زهرة الحياة لم يضع حجرا على حجر حتى وصل الى الرفيق الاعلى وبهذا فقد اتفق ظاهره وباطنه ولم يتعد أحدهما الآخر بل

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

أما الذى يأتى بثياب الحملان ان أريد ما فى اصطلاح الصاغة من أن الحملان ما يحمل على الدراهم من الغش وأريد بالثياب ثياب الصالحين يلبسها الذئاب

الخاطفة

الخاطفة لأجل الغش والتدليس فأهل الاسلام برآء من ذلك فقد سلكوا سبيل ربهم كما اقتضته ارادته العلية فما بال نبيهم المصطفى صلى الله عليه وسلم وهم على أثره وليست الدنيا بخالية منهم حتى نستشهد بالماضين ولولا الزهد فى الاسلام وتذكر أهوال القيامة والخوف وتغليبه على الرجاء لأخذوا من الناس باليمين فى أعمالهم ولم يتركوا لاحد مصلحة يرعاها ولا كانت أوروبا والممالك الغربية ترفل فى ثياب المدنية والتقدم فان غالب أهل الاسلام شرقيون ولا نقيم الدليل ونكثر من الكلام فيما كان عليه الشرق وأهله من التقدم فى دائرة العرفان والشرف الباذخ بل يشهد العالم بأسره بذلك وما تأخر الابداعية الزهد وان فى الجنة مما أعد الله للمتقين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم وهذه سيرته فقد استوى ظاهره مع باطنه فى اقامة الدين بما أوحى اليه من ربه عز وجل ولم يعش الا عيشة العبد المتواضع لسيده وخروجه من الدنيا بغير مال ولا زينة ولا شئ من زخرف فهادليل على خروجه من نسبة التواضع الظاهرى والافتراس الباطنى * وان أريد بثياب الحملان غيرها فالامر ظاهر

وانى فى عجب من عدم اتباع الحق الذى جاء به هذا النبى المعظم وقد أيد روحانية المسيح عيسى بن مريم ومعجزاته التى لم يرض بها الاسرائيليون وزيفوها وأبوا الا العناد والاصرار على ان المسيح الذى قال به موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن هو هذا المسيح ويعدون أنفسهم به حتى حين ولم يكن ليزل الأمين محمد ولم يكن ليشذ عن هدى اخوانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولكن حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فحاشا ان نقدر على شئ لم يكن لغير يده جلت قدرته وعز شأنه وتعالى عما يقول الظالمون

بالله عليك كيف يا عماد الدين تقول ان الاصحاح السابع من متى يبين ان دين الاسلام ليس بدين صحيح من الله وقد مر عليك فى قول المسيح كثيرون سيقولون لى

في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ اصرح لهم انى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يافاعلى الاثم ولله الحمد فاين من المعانى الجليلة ما يداخلك به السرور ان كنت من العقلاء ويقيم في وجهك أدلة ثبوت صدق الدين الاسلامى ان كنت ساعيا وراء الوصول الى الحق ولكن ماذا أقول والمعانى مهما كانت عالية فلا تفعل فعل الربيات التى بعث بها دينك القويم مع ماهى عليه من القلة وان كانت كثيرة في جانب فقرك المدقع

فاذا كان حال من يقول للمسيح يارب يارب وان كان معنى الرب هنا المعلم أو المربى حتى يصح اطلاق اسم الرب عليه هكذا من الطرد والحرمان مع كونه كان على قدم المسيح من حيثية اظهاره خوارق العادات فما بال من انحرف عن جادة الحق وسلك سبيل الباطل وادعى زورا وبهتانا ان ادعاء محمد النبوة والرسالة كذب وافتراء وغرور

ولم يكن الطرد وكونهم باؤا بغضب الله وعبده المسيح الا من استغراقهم بعد رفعه في القول بألوهيته وربوبيته بغير حق ولا دليل كما هو ظاهر نبوته وباطنها هذا ولم يبق شك عند أهل النقد من المستبصرين الذين يدأبون في طلب الحقائق والقول بها وترك العناد واللدد أن الاصحاح السابع لم يكن ليبين كما ادعى عماد الدين ان الاسلام مبنى على غير الصواب وانما هو يبين مع بعض التعاليم ان دين الاسلام هو الدين الحق والقول الصدق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه * ويكفى في ردع هذا الفاجر المفترى والكذاب المحترى قول المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام لمن يقولون له يارب يارب أى يدعونه باسم الربوبية المشوبة بالالوهية انه لا يعرفهم ويطردهم عنه وان قال ان المعنى في قول المسيح راجع الى من لم يعمل بأوامر الله من المسيحيين لا الى المتمسكين بالدين المسيحى اجمعين فيدفعه أن الاناجيل مصرحة غاية التصريح بأن الامر لله وحده لا اله غيره ولا معبود سواه بل صرحت بأن الذى يفعل كما

أمره به رب عيسى يفعل أفعال عيسى وأكثر سلطانا منهما ولم نر أحدا من أهل الدين المسيحي يطير في الهواء ويمشي على الماء ويحيي الموتى ويبرئ الأكمه والابرص باذن الله حتى يقال انه مسيحي صادق بل انهم في اختلاف في نفس الدين وانقسام الى أحزاب كل حزب اعتمد على أصول تخالف أصول الحزب الآخر وحولوا المعاني الجليلة الى معان ليست مقبولة عند أحد من العقلاء وازدادوا اختلافا بتكذيبهم نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع كونه جاء معضدا لدينهم ومثبتا اياه فهو نصيرهم ومعينهم على تفنيد ما ادعاه اليهود من تكذيب نبوة السيد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وقالوا ان دعوى القرآن بأن المسيح جاء مبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد كذب لا أصل لها وبعضهم قال بأنه رسول الى العرب خاصة ولم يكن الى الناس كافة وغير ذلك من أقوال خالية من الاسانيد وقد رأيت صاحب كتاب ميزان الحق يتهكم بالمسلمين وبنبيهم المصطفى عليه الصلاة والسلام ويذكر شروطا خمسة يتصف بها النبي الصادق واخلى نبينا عليه السلام منها باجمعها وهكذا ادعى زورا وبهتانا بأمور سنفرد للرد عليه فيها كتابا على حدته يشفي العليل ويروي الغليل أما الدين الاسلامي فلكونه هو الدين الحق والمتمسك به ناج بلا خلاف في ذلك نرى من أهله من صح في خبره انه طار في الهواء ومشى على الماء وأحيا الموتى وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة وبهذا فهم على أثر المسيح ولولم يكن ذكر هاته الامور والاتيان بتفاصيلها يخرجنا عن حد زجر هذا العنيد عماد الدين والخامه لاطلنا الكلام وأتينا كم بها تتبختر في حلل البرهان قابضة على سيف الحق والبيان فأما تبشير المسيح بنبوة الأمين صلى الله عليه وسلم فهو ثابت في الاناجيل ومحقق وكذلك في التوراة الكتاب المنزل على موسى بن عمران وزبور داود عليهما الصلاة والسلام

فأما الزبور فقد قال في المزمور الخامس والاربعين منه أنت أبرع جمالا من بني البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله الى الابد تقلد سيفك على

نغذك أيها الجبار جلالك وبهاؤك وبجلالك اقتحم اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون

فهذه نبوة لم تصدق على غير النبى محمد عليه الصلاة والسلام فلقد كان السيف والنبل فى زمنه من البواعث على نشر الدين الحنيف وقد قاتل بنفسه عليه الصلاة والسلام ونصرته الملائكة بقوة ناسبت قوات البشر تكميلا لعادة الله واتباعا لسنته فى خلقه والا فجبريل عليه الصلاة والسلام وحده يقلب بأعداء الدين الارض باصبع واحد من أصابعه

ولما رجع هذا القول صاحب ميزان الحق للمسيح وحاول تفنيد أدلة أهل الاسلام لم يكن لقوله بهاء ولا لعبارته طلاوة لان المسيح لم يكن من معجزاته الفصاحة ولم يركب من أجل اعلاء كلمة الحق ركوب المقاتل بسيف ونبل وانما معجزته الجلال والحكمة العملية وليس عندنا من ينكر مرتبته الالهية ومجده العظيم ولكن بغير سيف وسنان فلقد بعث فى أيام الحكماء وجاءهم بأحكم من حكمتهم وأصدق من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص باذن الله وارسال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جاء فى وقت استحكام التنافر بين قبائل العرب ووقت تفاخرهم بالصبر فى مواقع القتال والاستطالة على الناس بالقوة والغلبة وارتفاع شأن الفصحاء ومفاخرتهم بالفصاحة فكانت معجزاته عليه الصلاة والسلام وانتصاره عليهم بالسيف والسنان والفصاحة والبيان والمروءة وعلو الشان وخوارق أخرى مبسوطة فى السير الصحيحة المتواترة ومن الكفار من أسلم عند ما شاهد قتال الملائكة وأمورا تعجز البشر وتظهر عظم قدر النبى صلى الله عليه وسلم وجلالته وتتم الادلة على صدق رسالته

وأما آيات التوراة فكثيرة جدا وكلها تشير باعظم تصريح بنبوة سيدنا ومولانا محمد عليه الصلاة والسلام قال فى الاصحاح الثانى والاربعين من نبوة أشعيا هوذا

عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفأ الى الامان يخرج الحق لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته اه

ومن العجب ان صاحب ميزان الحق يقول بأن هاته الآيات المذكورة انما تشير الى المسيح وهي تصدق عليه فان عدم صدق هذه الآيات على محمد وعدم مطابقة صفاته لمضمونها هما أوضح من الشمس في رابعة النهار فان محمدا كان منهمكا جدا في جمع العساكر مولعا بالغزوات يلتذ بضجيج الحروب ويستحل قتل من لا يطيعه مطفئا فتيلة حياته

وقد أساء الرجل في قوله ولم يحسن الصنع في الكلام لانه لم يجد وجها حريا بالذكر يستند عليه وانما وصلت اليه هذه المكابرة من حجاب العمى الذي أنزل على عين قلبه من سماء القدر المحتوم فان هذه الآيات لا مشاحة في أنها خاصة بسيد الكونين محمد عبد الله ورسوله وصفيه ومختاره صلى الله عليه وسلم وهو الذي أخرج الحق وأظهره للوجود ولم يكل ولم ينكسر ولم يمت حتى وضع الحق في الارض وقام صحبه بعده بالفتوحات العظيمة وأخصها في زمن الامام عمر بن الخطاب عليه السلام أما السيد عيسى صلى الله عليه وسلم فلم يبث تعاليمه في غير أورشليم والناصرة والجليل وكورة الجدريين ولم يطعه الا النزر اليسير * ثم اجتمع اليهود على الفتك به فرفعه الله وأجله عن أن تتناوله أيدي الطغاة وقد أثبتت الطائفة المسيحية صلبه واهانته ولم يكن أقوى من ذلك كسرا وما انتشر دينه وعلا الا بعد ظهور المصطفى صلى الله عليه وسلم وتصديقه اياه فكفروا بالرسول الأمين حسدا وغما وآمنوا بالمسيح على الصفة التي وقع اختيارهم القبيح عليها ويا ليت أمة المسيح تصغي لهذه الآيات البينات ونحن نتركها ترجع للمسيح وتشير اليه ولا يصفونه الا كما وصفه ربه (هوذا عبدي الخ) ويعترفون بعبوديته

لا بألوهيته ولكن لارادة قضاء الله وقد اكتفينا هنا بالتلميح خوف الاطالة والا فسنفرد لقول صاحب الميزان كتابا خاصا به كما قدمنا

ولو تتبعنا آيات التوراة التي جاءت معلنة بنبوة سيد العجم والعرب لرأيناها كثيرة جدا ومقام هذا الكتاب لا يسع ذكرها والاتيان بالدلائل التي تجعلها خاصة به عليه الصلاة والسلام وانما غرضنا بهذا السفر المختصر الرد على عماد الدين في أقواله التي أخطأ طريق الحق فيها

أما الانجيل فقد بشر سيدنا المسيح صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة منه برسالة السيد الكامل محمد عليه الصلاة والسلام وأظهره اقوله كما نقله يوحنا في الاصحاح الرابع عشر ان كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الآب فيعطيكم بارقليطا اومعزيا آخر ليمكث معكم الى الابد

وأبين من ذلك قوله كما نقل أيضا يوحنا في الاصحاح السادس عشر وأما الآن فانا ماض الى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي لكن لاني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم لكني أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة أما على خطيئة فلانهم لا يؤمنون بي وأما على بر فلاني ذاهب الى أبي ولا ترونني أيضا وأما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين

ان لي أمورا كثيرة أيضا لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن ومتى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية انتهى

ولم يبق مع هذا الصريح شك في أن البارقليط أو المعزي هو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولا معنى للقول بأنه روح القدس فان العبارة لا تفيد ذلك أصلا ولا سبيل الى القول بها الا عنادا أو تضليلا ومار وح القدس الا معنى يقوم بالانسان الالهي يصيره ذا سلطان على الخلائق وهو موجود من قبل و به قام

الاذعان باثبات الوحدانية والوجود الازلى للواحد القهار سبحانه وتعالى وبالجملة قام بالسيد عيسى وهو فيه أظهر حتى اقتدر على الخلق بالصفة التى جاءنا بها القرآن العظيم

بل الذى ينفى ما توهموه أو تعمدوه من اطلاق قول المسيح عن المعزى يمكث معكم الى الابد ولو رجع هذا القول الى روح القدس الذى هو معنى يقوم بالحواريين لما قال يمكث معكم الى الابد وأى أبد وقد هلك الحواريون ولم يكن ثم روح قدس لا يتكلم عن نفسه ويخبر بأمور آتية أو يبكت العالم على أمور معدودة * ولو ذهبوا أنه بذهاب الحواريين يحل روح القدس بالامة بعدهم أو فى صالحيهم بحكم الوراثة الايمانية ومن هنا يصح مكثه معهم الى الابد وينتفى كون المعزى مقصودا به غيره لذهب به انتفاء المعجزة وخوارق العادات عنهم بما أحدثوه فى دينهم من الاختلاف على أصول الشريعة على أن المعزى أو البارقليط الذى جاء بمجيئه الانجيل عند ذهاب المسيح ممتنع عقلا انه الروح القدس لان المعنى الحال فى النفس لا يقصد بالذكر دون الحال فيه اذا كان عاقلا ومكلفا بخلاف ما اذا كان جمادا ركبت فيه أسرار يمكن أن تنفرد بالذكر وقيام الصفة بأعمال دون الموصوف تخصصها بالذكر والافضلية محال ولا ينظر الى مخاطبة النفس وهى جزء من الانسان فهى فى الحقيقة عينه وجميع الاجزاء متلاشية الا هى واذا تصرفنا فى المعانى حسب ما تقتضيه النشأة الوجودية فالاجزاء المتممة لحقيقة الانسانية هى المخاطبة وهى القائمة بالاوامر الالهية على ما فيها من تخالف التكوين واختلاف المشارب فاذا الذى لا يتكلم من نفسه ويخبر بأمور آتية ويبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة ليس الا الاجزاء المتممة لحقيقة الانسانية وينصرنا على هذا الحكم قوله لا يتكلم من نفسه أى من هواه وهذا الاحتراز لا يكون عن الروح القدس الذى هو المعنى الالهى أو القوة الالهية أو الصفة كيفما كانت حقيقتها

ولا يسلم عاقل تحقق من موارد الشرائع ومصادرها وظهرت له دلائلها العقلية

والنقلية ان الخلل يتطرق الى الكلام الالهية فقوله لا يتكلم عن نفسه بمثابة قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى) والهوى لا يكون الا فى النفس الممتزجة بعوالم شهوانية ربما تقودها الى أغراضها وهذا لعمرى كاف فى أن المعزى أو البارقليط ليس هو الروح القدس

واذا صمم المسيحيون على ان البارقليط أو المعزى هو روح القدس الذى من شأنه الحلول فى الانسان الالهى كالحوارى مثلا وقضت عليهم تخريجاتهم بذلك ليتخلصوا من أن المعنى به هو محمد صلى الله عليه وسلم للزم من هذا القول أفضلية الحواريين ومن يحل فيهم روح القدس من المؤمنين على السيد المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام فان قوله لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم أن أنطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزى لا يفهم منه غير كونه وعدا باتيان الافضل عند ذهاب المسيح ولا يسلم المسيحيون بالضرورة بأفضلية الحواريين أو غيرهم من باب أولى على سيدهم ولا مناص لهم من أن المعنى القائم بهذه الالفاظ هو ما ذكرنا وما بقى الا اعترافهم بالحق وتصديقهم برسالة المصطفى عليه الصلاة والسلام ولا يتعمقون فى بحار الاكاذيب والاسترسال فى الغى ولو جئنا بما هم عليه من الاختلافات فى روح القدس وعدم معرفتهم به المعرفة الحقيقية بالتفصيل حتى لا يبقى ريب عند أحد فى ان ترجيع المعزى أو البارقليط الى انه الروح القدس هو تضليل وتلبيس فى الحقيقة لاحتجنا الى أوسع من هذا الكتاب الذى جعلناه قاصرا على رد أغلاط عماد الدين أو القسس الذين ألفوا القصة على لسانه

(أما قول عماد الدين أخزاه الله وأرداه) وكان منهم (أى المسلمين) من كذب الثالوث ولم يصدق بان عيسى ابن الله

(فالجواب) ان المسلمين حفظهم الله مكذبون الثالوث حقا ولم يصدقوا بان عيسى ابن الله صدقا اذ أن تعدد الالهة مضر بنظام العباد ومفسد لهم واعتقاد ما لا يكون لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد كفر محض وشرك

ظاهر

ظاهرا تفقت على بطلانه وكفر منتحله جميع الشرائع المنزلة بل الذين قالوا به لم يهتدوا صراط الحق فيه

قال بطرس البستاني ان الثالوث كلمة تطلق عند النصارى على وجود ثلاثة أقانيم معا في اللاهوت تعرف بالآب والابن والروح القدس وهذا التعليم هو من تعاليم الكنيسة الكاثوليكية والشرقية وعموم البروتستانت الا مانذر والذين يتمسكون بهذا التعليم يذهبون الى أنه مطابق لنصوص الكتاب المقدس وقد أضاف اللاهوتيون اليه شروحا وايضاحات اتخذوها من تعاليم المجامع القديمة وكتابات آباء الكنيسة العظام وهي تبحث عن طريقة ولادة الاقنوم الثاني وانبثاق الاقنوم الثالث وما بين الاقانيم الثلاثة من النسبة وصفاتهم المميزة والقابهم ومع ان لفظة ثالوث لا توجد في الكتاب المقدس ولا يمكن أن يؤتى بآية من العهد القديم تصرح بتعليم الثالوث قد اقتبس المؤلفون المسيحيون القدماء آيات كثيرة تشير الى وجود صورة جمعية في اللاهوت ولكن اذا كانت تلك الآيات قابلة لتفاسير مختلفة كانت لا يمكن أن يؤتى بها كبرهان قاطع على تعليم الثالوث بل كرموز الى الوحي الواضح الصريح الذي يعتقدون انه مذكور في العهد الجديد وقد اقتبس منه مجموعان كبيران من الآيات كحجج لاثبات هذا التعليم أحدهما الآيات التي ذكر فيها الآب والابن والروح القدس معا والآخر التي ذكر فيها كل منهم على حدة والتي تحتوي على نوع أخص صفاتهم ونسبة أحدهم الى الآخر والجدال عن الاقانيم في اللاهوت ابتدئ في العصر الرسولي وقد نشأ على الاكثر عن تعاليم الفلاسفة الهيلانيين والغنوسطيين فان ثيوفيلوس أسقف انطاكية في القرن الثاني استعمل كلمة ترياس باليونانية ثم كان ترتليانوس أول من استعمل كلمة ترينيتاس المرادفة لها ومعناها الثالوث وفي الايام السابقة للمجمع النيقاوي حصل جدال مستمر في هذا التعليم وعلى الخصوص في الشرق وحكمت الكنيسة على كثير من الآراء بانها أراتيكية ومن جملتها آراء الابيونيين الذين كانوا يعتقدون ان المسيح انسان

محض والسابيليين الذين يعتقدون ان الآب والابن والروح القدس انما هي صور مختلفة اعلن بها الله نفسه للناس والاريوسيين الذين كانوا يعتقدون ان الابن ليس أزليا كالآب بل هو مخلوق منه قبل العالم ولذلك هو دون الآب وخاضع له والمكدونيين الذين انكروا كون الروح القدس اقنوما وأما تعليم الكنيسة فقد قرره المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ للميلاد ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وقد حكما بأن الابن والروح القدس مساويان للآب في وحدة اللاهوت وان الابن قد ولد منذ الازل من الآب وان الروح القدس منبثق من الآب ومجمع طليطلة المنعقد سنة ٥٨٩ حكم بان روح القدوس منبثق من الابن أيضا وقد قبلت الكنيسة اللاتينية باسرها هذه الزيادة وتمسكت بها وأما الكنيسة اليونانية فمع انها كانت في أول الامر ساكتة لا تقاوم قد قامت الحجة فيما بعد على تغيير القانون حاسبة ذلك بدعة وعبارة (ومن الابن أيضا) لا تزال من الموانع الكبرى للاتحاد بين الكنيسة اليونانية والكاثوليكية وكتب اللوثيريين والكنائس المصلحة أبقت تعليم الكنيسة الكاثوليكية للثالوث على ما كان عليه من دون تغيير ولكن قد ضاد ذلك منذ القرن الثالث عشر جمهور كبير من اللاهوتيين وعدة طوائف جديدة كالسوسينيانيين والجرمانيين والموحدين والعموميين وغيرهم حاسبين ذلك مضادا للكتاب المقدس والعقل وقد أطلق سويدنبرغ الثالوث على أقنوم المسيح معلما بثالوث ولكن لا ثالوث الاقانيم بل ثالوث الاقنوم وكان يفهم بذلك ان ما هو الهي في طبيعة المسيح هو الآب وان الالهي الذي اتحد بناسوت المسيح هو الابن وان الالهي الذي انبثق منه هو الروح القدس وانتشار مذهب العقليين في الكنائس اللوثيرية والمصلحة أضعف مدة من الزمان اعتقاد الثالوث بين عدد كبير من اللاهوتيين وقد ذهب كنت الى ان الآب والابن والروح القدس انما تدل على ثلاث صفات أساسية في اللاهوت وهي القدرة والحكمة والمحبة أو على ثلاثة فواعل عليا وهي الخلق والحفظ والضبط وقد حاول كل من هيجن وشلنغ ان يجعلا التعليم

الثالوث

الثالوث أساسا تخيليا وقد اقتدى بهما اللاهوتيون الجرمانيون المتأخرون وحاولوا المحاماة عن تعليم الثالوث بطرق مبنية على اسس تخيلية ولاهوتية وبعض اللاهوتيين الذين يعتمدون على الوحي لا يتمسكون بتعليم استقامة الرأى الكنائسية بالتدقيق كما هي مقررة في مجمعي نيقية والقسطنطينية المسكونيين وقد قام محامون كثيرون في الايام المتأخرة لمضاد آراء السابيليين على الخصوص انتهى

وقد ذكر ابن خلدون تفاصيل المجامع الدينية التى عقدها البطارقة والقسس من أجل الاتفاق على اصول يبنون أمورهم الدينية واعتقاداتهم الملية عليها فاذا اطلعت عليها هنالك ترى العجب العجاب (ولا يزالون مختلفين الامن رحم ربك ولذلك خلقهم)

وكما أنهم اختلفوا في الثالوث اختلفوا اختلافا كثيرا في روح القدس وقد ذكر بطرس البستاني لمعا من اختلافهم عند كلامه على الروح في دائرة المعارف ولما كان الروح القدس على ما هم عليه من الاختلاف والاتساع في معارضة بعضهم من الاقانيم الثلاثة خصوصا وانه على ما اتفق عليه فريق كبير منهم منبثق من الآب فلابد أنه موجود قبل الابن وان كان الابن عندهم أزليا وبهذا فوجود روح القدس لا يتوقف على ذهاب المسيح الى ربه ومابقى الا انه موجود من قبل والمعزى أو البارقليط هو شيء آخر غير الروح القدس وعبارة بطرس في الثالوث كافية في معرفة ما بينهم من الاختلاف في أصل المعتقدات وبالاكثر روح القدس الذى لم يشم مما ذكرآنفا أدنى رائحة في أنه هو المعزى أو البارقليط

بل انه بالبحث على أصل لفظة بارقليط في اللغة اليونانية بزيادة واو وسين عليها (أوكما قال العارفون بها) كما أخبرنا من نثق به من أهل هذه اللغة العارفين باصولها وحقائقها فاذا تفسيرها وتعريبها (أحمد) وهذا لاشك فيه اذ قال الله سبحانه وتعالى حاكيا عن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم (ومبشرا برسول يأتى

من بعدى اسمه أحمد) (ومن أصدق من الله قيلا)

(خاتمة)

نعم ان رسالة عماد الدين الهندى يعرف من له أدنى ذوق انها احبولة كيد أراد أن يتصيد واضعوها بها أهل الزيغ من البسطاء الذين لا عقل عندهم ولا علم يقيهم من تسلط الهواجس الشيطانية بمثل هذه الترهات الخرافية وانها لا تعمل فى قلوب المهتدين شيأ ولو لم يكونوا من أهل المعرفة ولكن هذا الزمان أكثر أهله مولعون بسفاسف الامور لغلبة الشيطان والاهواء وأنفس الاشرار طموحة للانفكاك من ربقة الاعتصام بالحق فعندما يسمعون أن عالما من علماء الاسلام مدرسا اشتغل بعبادة الله ودخل طريق التصوف وأجهد النفس فى الوصول الى المعرفة الحقة وساح فى الارض وعمل كل ما يؤلم النفس ويعذب الجسد وكانت نتيجة وصوله ان عرف ان دين الاسلام ليس بدين من الله وتنصر طلبا للفوز عند الله بالسعادة يقعون فى الحيرة والاندهاش والشياطين لا تغفل من القاء الروع الظلمانى فى قلوبهم وهى مسلطة على الانسان تجرى منه مجرى الدم خصوصا وان المدارس المسيحية مفتحة الابواب لابناء المسلمين لبث التعاليم المسيحية وقد اضطر المسلمون الى تهذيب أبنائهم فى هاتيك المدارس لقلة المصاريف والمؤن وسهولة تعليم اللغات الاجنبية وغيرها من العلوم الطبيعية والفلسفة فاذا تربى أبناء المسلمين على هذه المبادى وثبتت فى أذهانهم عسر اخراجها كما يعسر نقل جاذبية الارض للجسم الثقيل (الا بخوارق) وما كفى أهل العناد ذلك التحيل الغريب حتى ألفوا كتبا سريعة التقلب فى اذهان البسطاء ولا تقولوا انهم اعيان العجائز فدور الايام أخذ فى سماء هذا الزمن الاخير منزلة رفيعة وكم رأينا من تهافت على قراءة هذه الرسالة وأخذ يتساءل فى أمر الشفاعة وكيف لم ينص عليها الكتاب العزيز مع انها مما طنطنت به الامة الاسلامية خصوصا عندما رأوا أصحاب التفاسير لم يتكلموا عليها من طريق التنزيل

فقيامنا

فقيامنا بالرد على هذه الرسالة لا يقال انه يرفع من شأنها أو يجعل لها حيزا من الاهمية فالقول بشئ محسوس لا يدفع الا بمحسوس مثله فهذا قوله أن لا دليل فى القرآن ان محمدا يشفع فى واحد لا يقابله شئ يدفعه اذ التفاسير وكتب كبار العلماء خالية من القول عليها بصريح القرآن وقد رأينا امامنا الغزالى رضى الله عنه متكلما على الشفاعة فى احياء علوم الدين ولم يستدل عليها الا بالاحاديث الصحيحة وغيره من المتأخرين كرجل الاسلام فى زمانه البيجورى ابراهيم رحمه الله أثبتها بالاحاديث فيما ألفه من الكتب فى علم التوحيد فاذا استشعرت القلوب مهما كان ايمانها ان اثبات الشفاعة لم ينص عليها القرآن وقد تلقفها أعداء الدين فعملوها دليلا على بطلان الدين كما كان من امر مؤلفى رسالة عماد الدين أفما يأخذ الانسان خصوصا الخالى الذهن فى التقهقر ويجعل ذلك سندا لما يلقيه عليه الشيطان من المزاعم الفاسدة وانى أشكر الله حيث أقدرنى على استخراجها ودفع شبهة أهل الضلال وربك الفعال

أما اذا سمرنا على رأى البعض وسكتنا عليها ولم نعبأ بما يقولون مع اجتماعهم على تفنيد أدلة أهل الاسلام وتزييف معتقداتهم واختلاق الكذب عليهم مع عدم الوثوق بحفظ مستقبل القلوب لا شك انه يعم الفساد ويكثر التنازع ويضحى الدين هدفا لسهام المنددين وقد رأيت أن الانسب بأهل الدين وخصوصا العلماء تأليف جمعية من أكابر العلماء من شأنها استطلاع خفايا رموزهم واشاراتهم والاخذ فى الرد على ما يقع فى أيديهم من الكتب والرسائل حتى يكونوا قد حفظوا للدين مركزه وأدوا حقه والله الموفق .

هذا ولما لم يبق فى قصة عماد الدين ما هو جدير بالرد عليه نختم الكتاب كما بدأناه بالحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

{ تنبيه }

قد ذكرنا فى فاتحة الكتاب اننا جمعنا فيه مجرد الرد ولكننا فى أثناء الطبع أضفنا اليه ما شرحنا به قوله تعالى (الله نور السموات والارض) وبعض تحسينات جاء بها الكتاب عظيم الفائدة حسن العائدة فليتدبره أولوا الابصار والله الهادى الى سواء السبيل

ولما تم طبعه ما اطلع عليه حضرة علامة وقته وفهامة عصره الاستاذ الكامل والهمام الفاضل الشيخ سليم البشرى شيخ السادة المالكيه وروح الدائرة الازهريه فقال مقرظا له حفظه الله

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

الحمد لله الذى بين الرشد من الغى ولم يفرط فى الكتاب من شى والصلاة والسلام على سيدنا محمد الماحى لظلم الشرك بسيفه القاطع والمدحض لشبه المبطلين ببرهانه الساطع وعلى آله وأصحابه وكل لائذ بجنابه (أما بعد) فقد اطلعت على هذه التحقيقات الرائقة والتدقيقات الفائقة فاذا هى جواهر ثمينات بل آيات بينات وحجج واضحات للباطل دامغات قد بزغت شموس المعارف من صفحاتها وبدرت بدور العوارف من نفحاتها لا جرم انها دعامة من الصراط المتين وبها تنهال الشبه المسمى بعماد الدين لمؤلفها الداعى الى المنهج القويم المنيف السيد المحقق والجهبذ المدقق أحمد أفندى الشريف لا زالت أنوار معارفه ساطعه وأسرار معالمه جامعه أدام الله لنا حياته وأبطل به الباطل وأماته

كتبه بيده الفانية الفقير
سليم البشرى خادم المالكية

وقرظه أيضا حضرة الهمام الامجد والسرى الاوحد أوحد العلماء وأبلغ البلغاء الشيخ حسن الطويل من كبراء العلماء الازهريه واستاذ مدرسة دار العلوم الخديويه فقال أجله الله

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

حسبنا الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم ما يشركون اللهم جنبنا الذلة والزلل ووفقنا للحكمة فى القول والعمل ولا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون وحل بيننا وبين من اشترى الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وامترى فى الحق بعد ما تبين فافترى على الله الكذب واجترا فدعا الناس الى نار تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى فما أصبره ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون

اخوتى فى الدين والمؤمنون اخوة أدعوكم ولا حاجة بكم الى دعائى فقد بلغتكم الدعوة لا يحزنكم ما يفعل الشيطان بجنوده فما يضلون الا أنفسهم وما يضرون ان هى الاشباك صيد واشراك كيد ينصبها فى ظلمة ليل من الجهالة بهم أو يسيرها تيهم كما أنه فى كل واديهم وليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون كلا لو تعلمون (علم اليقين) لكان لكم منه عصا صدق تلقف ما يأفكون وسيف حق به قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون وشمس نهار تهتك ستر الشك وتخرق ثوب الشرك وبدر ليل طالع باعلى المطالع يدع زخرف الباطل من البواطل وحجة دامغة تذهب بتلك الخيالات الفارغة

ان (علم اليقين) رسالة من معدن الرسالة أبرزتها القدرة الالهيه والعناية الربانيه على يدى علم يقين بيقين وفتى فتوه من بيت النبوه سيد شريف صفى وحليف تقى وفى صنف فأجاد وما كل مصنف مجيد وألف فأفاده وما كل مؤلف مفيد

هذا وكنت وما زلت أرى أن مثل ذلك الخيال المفترى باسم عماد الدين والهاشمى وغيرهما مما هو مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف وان كان كطنين ذباب أو صرير باب لا يحسب له حساب ولا يعد فى مهم أو ملم لكن لا ينكر ان الانسان ربما يبتلى فيسترسل مع قبح الافعال وسيئ الاخلاق فيجره ذلك الى خبيث الاعتقاد ويتعلق بمثل تلك الخزعبلات فيتحول علمه

جهلا ونوره ظلمة وبصره عمى كما نراه فيمن سلك غير سبيل المؤمنين وتخلق
باخلاق من لا خلاق له من بهائم طبعا أو شياطين
وكأن هذا الاستاذ الملاذ اغراني بتأليف هذا الكتاب المستطاب شفقة
انسانية ورأفة ايمانية بمثل هؤلاء الحمقى الاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا ولا حظ لهم في الآخرة والاولى فجعله تذكرة وذكرى لمن
يذكر منهم أو يخشى

كتبه وقاله

حسن الطويل

وقرظه أيضا حضرة العلامة الفاضل الشيخ أحمد الرفاعي أحد كبراء علماء الجامع
الازهر فقال أطال الله بقاءه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لمن أتاح للشريعة ليوثا ورجم بهم شيطانا ديوثا وصلاة وسلاما على من
شيد البراهين وحفظت معجزته من ترهات المعاندين وعلى آله وأصحابه النقلة
ومن حذا حذوهم من الجهابذة الكملة (أما بعد) فان الشريعة صارم لا يثلم
ولا يضرها وعوعة من فيها تكلم أو يتكلم فهي يصدق بعضها بعضا وتشتمل
على براهين لا يستطيع أحد لها نقضا لكن مع تأخر الحال تشبث لعيبها من
ليس له بال كضراثر الحسناء قلن الى آخره فقيض الله تعالى هذا السيد
بجميل نظره فاظهر معايب المعايب ولقمها بعظم المصايب وقضمها اقضم
النار للهندي واتحف الاسلام بهذا الجميل من الرد فيا أيها المؤمنون قد جاءتكم
موعظة وبرهان فعضوا على هذا المؤلف بنواجذ الاسنان متع الله المسلمين
بطول حياة مؤلفه ورزقنا واياه التوفيق وأتحفنا بمحاسن تحفه

علقه بقلمه وفاه به بفمه قليل البضاعة
في الادب والمساعي أحمد المالكي
الازهري الرفاعي

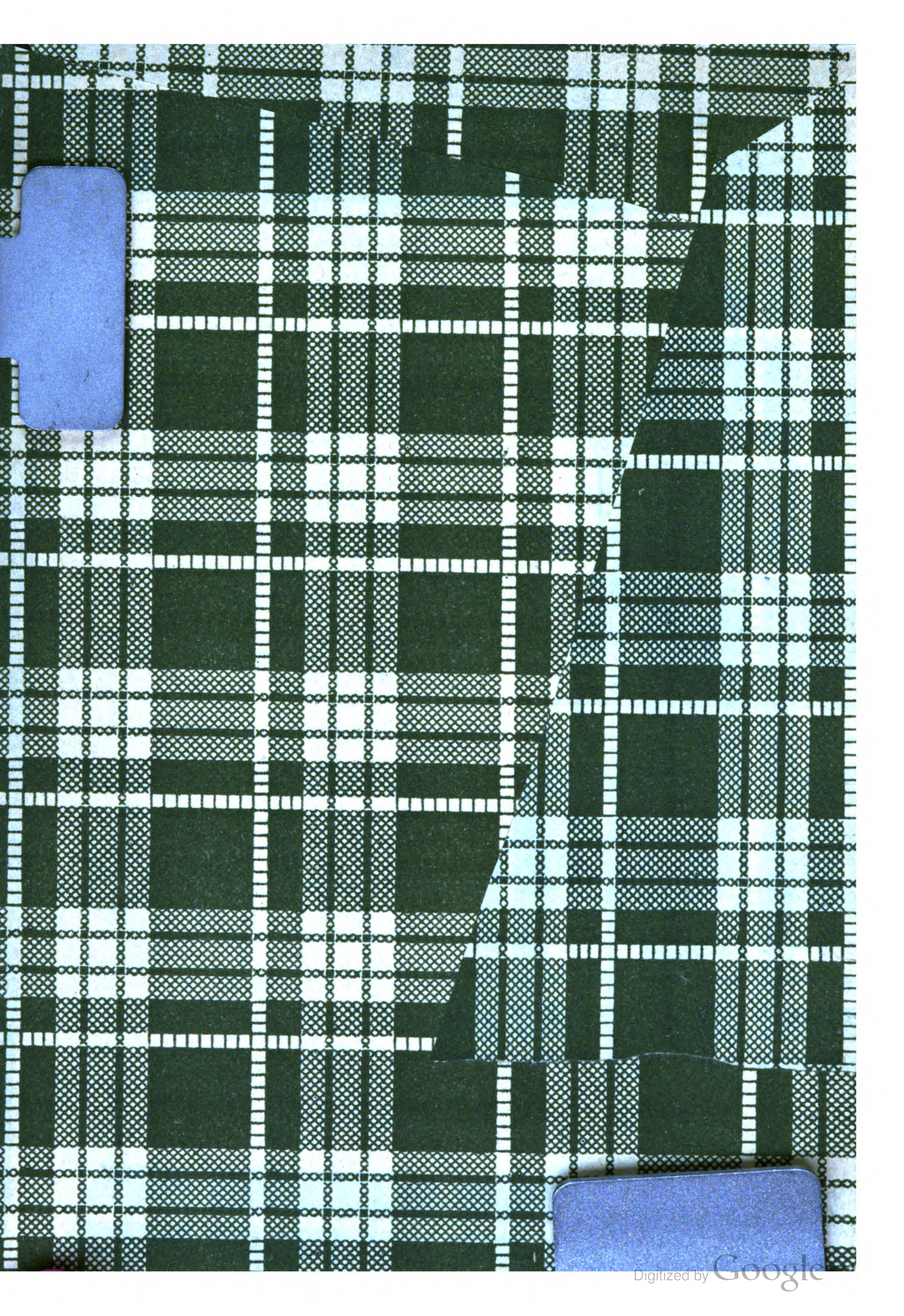
(يقول

﴿يقول مصحح دار الطباعة الشرفية الراجي من الله غفر المساوى السيد حماد الفيومي العماوى﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

علم اليقين ما علم اليقين وما أدراك ما علم اليقين سيف حق قاطع انتضاه الله على جيش الباطل فبدد فرسانه وبرهان صدق ساطع نصبه ناصر الدين فزعزع من الضلال أركانه فأصبحت فئتاهما منه في عذاب غيظ مهين واظى كيد متين قد أعجزت حجه الباهرة كل مبتدع ومعارض وأسفرت حكمه البالغة عن خطل من هوفي مهمه الزيغ سابح خائض فلا غرو هو حصن مشيد من حصون فضائل الملة الحنيفيه وركن اعتماد شديد من أركان صيانة الامة الاسلاميه وصراط مستقيم يعبره وارد وجنة اليقين فلا عوج ولا يتزلزل ومنهج قويم ينتهجه الساعي الى ذروة خطة الرشد فلا يضل ولا يتحول ولا عجب أن سمحت به كف الدهر مع كفه عن السماح وانتجه برهان الزمان بعدان ولى شبابه الغض وراح فان الله وله المنة والطول ولا منة الا به ولا حول جرت عادة عنايته بالامة الاميه ودين رعايته لحوزة العصابة المحمديه بان يقيض لدينها من يرتق ما تفتقه منه أيدي المختلسين وما تمتد الى توهم شوب محاسنه الباهرة آمال الملحدين وممن اختاره سبحانه للقيام باعباء هذه الخطة السامية السنية والتصدى لتقرير البراهين الدامغة لهام شبه ضلالات أعداء الدين الوهميه حضرة ركن الملة وعماد الاسلام وعلم الفضل وحجة الانام بكر الدهر الوحيد في معانيه وبرهانه على تباين أوقاته وتفاضل بنيه ذو الذهن الثاقب الذي تنم أفكاره على أسرار الغيوب وصاحب البصيرة النيرة الذي أنبت بآدابه في رياض العقول رياحين القلوب العلامة الذي له في سماء الكمال قدر منيف الهمام الاوحد السيد أحمد أفندي الشريف فانه قد اعتنى بالرد على أحبولة كيد نصبها جهلاء الاعداء في طريق الموحدين وأشراك خبال عرضها أمام سنن العامة

من لا خلاق له فى دين وقد نسبها من نصبها الى غير منسوب اليه فرد الله كيده فى نحره وأعاد سهمه بالحسرة عليه فجزى الله هذا السيد الجليل خير الجزاء عن جميع المسلمين وشكر له هذا المسعى الجميل ورفع درجته فى درجات المقربين * هذا وانه قد اختار لطبع كتابه الوحيد وعقد عقيدته الفريد دار الطباعة العامرة الشرفيه التى مركزها بمصر خان أبى طاقيه وقد قوبل فى التصحيح على نسخة المؤلف برأى منه وسمع ومراجعته فى كل ما لم يصل الذهن الى درك معانيه أجمع وكانت نهاية الطبع فى أوائل شهر ربيع الاول من سنة ١٣١١ من هجرة سيد الانام عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى السلام ما توالى الملوان وتتالى النيران




Princeton University Library
2101 066453877
RECAP